مقدمة الكتاب

منذ مدة مضت، نشرت مجلة «الريدرز دايجست» مقالة رائعة بقلم إرنست هوزر، عن معجزة الاثنى عشر، والتي كانت تحمل هذا العنوان الفرعي: «الذين اختارهم يسوع، كانوا رسلاً لرسالة غيرت العالم». من كان هؤلاء الرجال الذين اختارهم يسوع، الذين بنيت الكاتدرائيات تكريماً لهم، والذين نسجت حولهم الأساطير بخيوط ذهبية، والذين سميت جماهير غفيرة بأسمائهم؟ وكيف استسلمت الإمبراطورية الرومانية العاتية لبشارة الفادي المفرحة القادمة من الشرق عن طريق جهودهم التبشيرية على مدى ثلاثة قرون ونصف؟

إنها حقيقة لا نستطيع إنكارها. فلا يوجد جماعة من الرجال، قل عددها أو كثر، كان لها مثل هذا التأثير الكبير على العالم مثل هذه الجماعة الصغيرة المكونة من أناس عاديين، دعاهم يسوع ودربهم وأوصاهم وزودهم بالقوة لينشروا دعوته. ولو نظرنا إليهم من الناحية البشرية، نجد أنه لم يكن لدى الاثني عشر سوى مؤهلات هزيلة تؤهلهم للقيام بالأعمال العظيمة التي كانت تنتظرهم. كان يشار إليهم بأنهم أناس «عديمي العلم وعاميين» بما يعني أنهم كانوا غير محترفين وبعيدين تماماً عن دائرة المدارس الفلسفية السائدة وقتئذ، وعن أيضاً الفكر السياسي والديني.

فبحسب الظاهر، لم تكن هناك رسالة تبدو يائسة مثل رسالتهم. ألم تكن مهمتهم محكوم عليها بالفشل، نظراً لأنهم كانوا بلا مركز اجتماعي، ولم تكن هناك مؤسسة يتبعونها، وكانوا معدمين من ناحية الثروة، ولم يكن يساندهم أحد من ذوي النفوذ والمال؟ فكيف كان بإمكانهم أن يتوقعوا النجاح في مهمة شملت العالم بأسره؟ لقد كانوا رفاقاً لرجل ولد فقيراً، وقضى معظم سني حياته مغموراً، ولم يكن له أي مركز في الحياة، ولم يكتب كتاباً، وقد أعدم كمجرم بين لصين، ولم يعش أكثر من ٣٣ سنة. كيف كان بإمكانهم أن يتوقعوا أن يكون لشهادتهم تأثير على العالم كتابعي شخص محتقر ومخذول من الناس؟ ومع ذلك فقد مضوا قدماً إلى الأمام وذهبوا لدعوة العالم للسجود عند قدميه، وقد أتى العالم ليسجد – وما زال يأتي، لأنه على الرغم من عدم تقوى عالمنا، إلا أن هناك الملايين في العالم اليوم الذين يحبون رجل الجليل هذا.

في سلسلة من المقالات التي كتبها الآن بوول لمجلة كريستيان بلندن بانجلترا منذ مدة طويلة، تحدث عن رجال العلية، فقال عنهم: «لكي ينشئوا مؤسسة جديدة في الأرض تتحدى الزمن والموت وكل قوى الجحيم، فقد تعلموا كيف يعملون من خلال البشر ومن خلال قوة الشيطان لخلق مجتمع يضم بين صفوفه أفضل العقول المستنيرة، وأسمى المثل العليا، وأقدس النفوس! وكونهم – من خلال التأثير الأخلاقي والروحي على عصرهم والعصور اللاحقة – طهروا المجتمع وأنقذوه، وخلقوا مستوى رفيعاً من الحضارة وغيروا مسار التاريخ لما يقرب من ألفي عام، فهي حقيقة لا يرقى إليها الشك».

نحن نؤمن أن الدراسة التي قمنا بها سوف تخلب ألباب جميع الذين يحبون قصة يسوع الشيقة والرجال الذين دعاهم إلى دائرة صداقته. وأن نمشي من جديد مع هؤلاء الرجال ونحن نفكر تفكيراً هادئاً مع ملاحظة دقيقة، لنرى بعيونهم، ونفكر بعقولهم، ونحلم أحلامهم، ونتوهج بحماستهم، ونلتهب بحبهم للسيد – فإن ذلك يعد امتيازاً ومتعة نتوق إليها ونرغبها. إن ذلك التأمل الخلاب ينبغي أن يدفعنا لنكون مكرسين للمسيح كما كان الرسل في عصرهم وجيلهم.

في ترنيمته الداعية إلى النضال «ابن الله يذهب إلى الحرب» يضع أمامنا الأسقف هيبر جرأة هؤلاء القديسين الأوائل الذين خاطروا بحياتهم لأجل المسيح:

جماعة مجيدة، القلة المختارة
الذين حل الروح القدس عليهم
اثنا عشر قديساً شجاعاً، كانوا على علم تام برجائهم
وقد سخروا من عقوبة الصلب ومن النيران
وواجهوا سيف الطاغية الذي يهدد به
وعُرف الأسد الجسور المثير للرعب
أحنوا أعناقهم، ليذوقوا الموت
من يسير في ركابهم؟

وبالإضافة إلى ذلك، فحيث أن الكتاب المقدس هو تاريخ حياة البشرية، فالرسل جديرون بالدراسة كممثلين لهذه البشرية. إن توماس كارليل هو الذي قال: «إن مطالعتنا لسيرة عظماء الرجال تعد صحبة مفيدة على أي حال. فنحن لا نستطيع أن نبحث، مهما كان بحثنا ناقصاً، في سيرة إنسان عظيم دون أن نكتسب منه شيئاً مفيداً. عندما نكون في معية الرسل – جميعهم – فنحن لا نكون ببساطة في معية أناس صاروا عظماء بطريقتهم الخاصة، ولكننا نكون في شركة مع بعض أعظم رجال العالم، على الرغم من أنهم كانوا مغمورين في البداية. يؤكد الدكتور ج.د جونر أنه من بين أولئك المولودين من النساء ليس هناك أعظم من «الاثنى عشر القديسين والمباركين وعندما نكون في جماعة الرسل نكون في أفضل مجتمع، ويستحيل علينا أن نصادق بطرس ويعقوب ويوحنا واندراوس وبقية الرسل دون أن نقتبس منهم شيئاً من غيرتهم وتكريسهم وحبهم المضحي وهي أشياء قد حفرت أسماءهم على أساسات أورشليم الجديدة كما جلسوا على اثنى عشر كرسياً ليدينوا أسباط إسرائيل الاثنى عشر».

إن المبشرين ومعلمي الكلمة قد أثبتوا كيف أن تقديم شخصيات الكتاب المقدس يمكن أن يجذب انتباه الجماهير. إن دكتور ف.ب. ماير، واحد من أبرز المفسرين البريطانيين في استخدام فاعلية تاريخ حياة أبطال الكتاب المقدس، أرادنا أن نعرف أنه «لضم أعضاء جدد لكنيسة يتقلص عدد أفرادها، ولكي يدب الحماس في أفراد كنيسة كثيرة العدد، ولبعث الاهتمام من جديد بالكتاب المقدس، ولمس أوتار قلوب البشر، ليس هناك شيء يمكن مقارنته بإعادة سرد قصص أبطال وقديسي الكتاب المقدس». فالمبشرون والسامعون على السواء يجدون التشجيع عند سماع أحاديث الرسل، لأنهم كانوا أناساً لهم أحاسيس مثلنا تماماً. وبرغم صفاتهم النبيلة، كانت لهم نقائصهم وضعفاتهم، كما سوف نكتشف في تصويرنا لشخصياتهم. إنهم يعكسون ما بداخل قلوبنا وحياتنا ولذا فنحن ننجذب إليهم بروح العطف فإذا كان المسيح قادراً على خلق أفضل البشر والذين لم يكونوا سوى مجرد رجال على أحسن الفروض، فإنه قادر على خلقنا من جديد واستخدامنا لمجده.

كما سمعه الرسل في القديم
بجوار بحر الجليل
وتركوا بيوتهم وتعبهم ونويهم
تاركين كل شيء لأجل محبته
هكذا يدعونا يسوع بصوت يعلو على صوت
بحر حياتنا الهائج والمتلاطمة أمواجه
ويتردد صوته الحلو يوماً وراء الآخر
قائلاً: «أيها المسيحي، اتبعني!»

أولاً: اختيار الاثنى عشر بُناءً على الصلاة والهدف

يسوع يدعو بلهجة رقيقة

يسوع يدعوك، يا أخي، إليه

تماماً كما في القديم، بجوار مياه بحر الجليل

خرجت من شفتيه الدعوة القائلة:

اتبعني!

إذ نحاول فهم حقيقة وملامح اختيار ربنا للاثنى عشر رسولاً، هناك حقيقة ثابتة يجب أن نؤكدها وهي أنه دعاهم لكي يتبعوه، ليس لاستحقاق فيهم عندما التقى بهم لأول مرة، ولكن بسبب ما يمكن أن يؤولوا إليه بفضل تعليمه وقوته. وكالنحات العظيم مايكل أنجلو، رأى يسوع التمثال الجميل في قطعة الرخام الصماء الخشنة. ونحن نجد هذه الرؤية وهذا القرار في إعلانه لبطرس «أنت سمعان بن يونا. أنت تدعى صفا الذي تفسيره بطرس» (يو ١:٤٢).

بالنسبة للعين المجردة كان يبدو كما لو أن الفخاري الإلهي قد اختار قطعة صلصال عادية ليشكل منها شهوده وعماله الأقوياء. فلو كان هناك أي شيء غير عادي فيهم، فلابد أنه كان مرئياً أمام عينيه الفاحصتين لأنه هو وحده «علم ما كان في الإنسان» وهذا «لأنه كان يعرف الجميع» (يو ٢:٢٤،٢٥). لقد اختار فلاحين من القرية، ورجالاً من المدن المجاورة، وصيادين في البحر كتلاميذه الأولين. وعلى الرغم أن معظمهم كانوا يكسبون لقمة عيشهم بالقيام بحرف عادية. وكانوا رجالاً محترمين من وجهة النظر الأخلاقية، وقد طُبعوا على التدين بطبعهم، إلا أنه لم يكن فيهم أدنى انطباع يوحي بتفوق صفاتهم أو لياقتهم للخدمة الفائقة التي كان من المفروض أن يقوموا بها. ولكن العالم كله عرف ما آلوا إليه نتيجة للمثال الذي وجدوه في يسوع وإعداده لهم، فقد أصبحوا اثنى عشر رجلاً من أقوى وأنبل الرجال المضحين الباذلين الذين لا يهابون شيئاً (فيما عدا يهوذا الإسخريوطي) ممن ظهروا على مسرح التاريخ البشري. إن التغيير الذي أجري في حياة الاثنى عشر لم يكن أقل المعجزات التي أجراها المسيح، بل كان أعظمها على الإطلاق.

لقد اختار المعلم، إذن، اثنى عشر رجلاً مغموراً ليكونوا رسله لأنه لم يكن يركز على خدمتهم وقتئذ، بل على الأعمال الباهرة التي كانوا سوف يجرونها بعد صعوده إلى السماء. كان عليهم أن يشهدوا لحقائق حياة ربهم، وموته، وقيامته (انظر لو ١:١-٢٤، يو ١٥:٢٧، أع ١:١-٣، ٢بط ١٦:١، ١يو ١:١-٣). ولأنه ليست هناك حقائق تاريخية أكثر عرضة للهجوم والتجريح من تلك المتعلقة بالمسيح. وتأسيس وامتداد كنيسته، فقد كان من الضروري أن يكون هناك شهود عيان تكون شهادتهم مقنعة بما لا يدع مجالاً للشك.

فقد وهب لهم الكثير من الأدلة الدامغة «على قيامة قائدهم من الأموات، ولأجل تأكيد ويقينية مثل هذا الإنجيل الحيوي اختار الاثنى عشر، وأعدهم بكل السبل للقيام بمهمتهم الجبارة (لو ٢٤:٤٨، ٤٩، أع ١:٨، ٢:١-٥، ٣٢، ٣٣).

والدرس العملي الذي نستخلصه من كل ذلك هو أن المهم ليس وضعنا الراهن، عندما نسمع ونستجيب لدعوة المسيح، بل ما يمكن للمسيح أن يعمله فينا بنعمته وقوته عندما نسير معه. عندما دعا يسوع أولئك التلاميذ الأوائل، قال: «اتبعني وأنا أجعلك..» فليس هناك مسيحيون

عصاميون، كونوا أنفسهم، ولكن جميعهم مسيحيون قد كونهم المسيح. والذين كونوا أنفسهم لا يكونوا دعاة من خامة جيدة، ولا يحققون إلا نجاحاً ضئيلاً، ولكن أولئك الذين يريدهم الرب ويربحهم، هم أولئك الذين يستطيع أن يجعلهم أسفاراً بشرية مقروءة لإعلان قصة حبه ونعمته. وكما عمل مع الذين جمعهم حوله في أيام تجسده، فإن تلاميذ اليوم يبدأون التلمذة باتباع المسيح والتعلم على يديه ومنه يومياً (مت ١١:٢٩)، وعندما ينمون في النعمة والمعرفة، يصبحون أكثر ملائمة لتمثيل المخلص في عالم الخطية والحاجة.

هناك عدة جوانب مفيدة يجدر أن نتأمل فيها، وهي تجذب انتباهنا فيما يتعلق باختيار الرب وتعيينه للاثنى عشر. لاحظ أن اللقاءات الأولى معه كانت تحوي عناصر المستقبل المصيري. والقرار الذي اتخذ عند ذلك المنعطف الهام في الحياة، شكَّل مسار السنوات اللاحقة وكان له السيطرة التامة عليها، لقد كانت تلك لحظات الميلاد الغامضة في التاريخ الشخصي، والتاريخ العالمي كذلك. هكذا كان الحال مع الذين نهضوا وتبعوا المسيح.

١- كان الاختيار نابعاً من إرادته العليا ووفقاً لخطته:

نحن نقرأ أن المسيح «دعا الذين أرادهم» (مر ٣:١٣). فالذين دعاهم لم يستشاروا من قبل، ولم يطلب نصيحة أي واحد فيما يتعلق بمؤهلات الذين دعاهم. كان الاختيار نابعاً من إرادته السامية وقصده. وكما تنبأ بكل الطريق الذي كان ممتداً أمامه، هكذا فإنه كان يعلم باحساس داخلي بنوعية الناس الذين كان بحاجة إليهم كشهود جديرين بالثقة لكل الدراما المقدسة في حياته، وموته، وقيامته، وصعوده، فتلك السمة المميزة هي التي تجعل من قصة الاثنى عشر شيئاً بارزاً جديراً بالذكر. كان تعيينهم مرسوماً من قبل بعناية، ومتعمداً، وهاماً جداً، وذو نتائج بعيدة المدى. وفيما يتعلق بمعرفة ربنا المسبقة، فإن مشكلة اختيار يهوذا الإسخريوطي ضمن الرسل قد بحثناها باستفاضة في معرض حديثنا عن الخائن.

٢- تم الاختيار بعد قضاء الليل بطوله في الصلاة

يخبرنا لوقا أن يسوع «خرج إلى الجبل ليصلي. وقضى الليل كله في الصلاة لله. ولما كان النهار دعا تلاميذه واختار منهم اثنى عشر الذين سماهم أيضاً رسلا» (لو ٦:١٢،١٣). نحن لا نعرف عدد التلاميذ الذين اختار منهم يسوع الاثنى عشر، وليس لدينا أدنى فكرة أيضاً عن طريقة الاختيار. ولكننا نعرف أن يسوع ظل لمدة ١٨ شهراً يعلِّم ويراقب أولئك الذين تبعوه وفقاً لعلمه وإدراكه الكاملين. وعندما شعر بضرورة وجود فعلة لمساعدته في الحصاد، خرجت من شفتيه المقدستين العديد من الصلوات بأكثر لجاجة وإلحاحاً لطلب الإرشاد الإلهي فيما يتعلق باختيار الرسل من بين تلاميذه. بعد ذلك، تركزت صلواته وطلباته على الاثنى عشر الذين اختارهم، حتى ينعزلوا عن العالم ويخصصوا ذواتهم له، ويأتوا بثمر ويدوم ثمرهم (يو ١٥:١٦-١٩).

وحتى في صلاته الشفاعية الكبرى في العلية، عندما تم كشف النقاب عن يهوذا، فإن قناعة المسيح كانت ثابتة غير مهتزة. استمع إلى نغمة اليقين في حديثه: «كانوا لك وأعطيتهم لي... ولم يهلك منهم أحد الا ابن الهلاك ليتم الكتاب» (يو ١٧:٦،١٢).

في ضوء هذا التأكيد، نرى بوضوح أن خيانة يهوذا - أبعد ما يمكن عن أن تكون سوء تقدير من جانب اختيار المسيح ليهوذا - ولكنها كانت بمثابة إعلان للأحداث التي كانت مكنونة في الإرادة الإلهية. والمصادقة على نبوة زكريا الموغلة في القدم (زك ١١:١٢،١٣). إن هذه الصلاة البارزة والتي رفعها المسيح في العلية لم تكن سوى صدى لتلك

الليلة التي قضاها مع الله على الجبل، قبل اختيار المسيح للاثنى عشر. هل يمكن أن نقول إن كل قراراتنا في الحياة تسبقها صلاة عميقة مطولة طلباً للإرشاد الإلهي؟

٣- الاختيار كان قاصراً على اثنى عشر

لماذا اختار يسوع اثنى عشر بالضبط، لا أزيد ولا أقل؟ كان ذلك العدد من الأتباع والمريدين يعد كبيراً بالنسبة لأي معلم، أن ثلاثة رجال عدد لا بأس به، وستة رجال عدد يلفت الأنظار، أما ١٢ رجلاً فعدد غير عادي. لابد أن كل قرية كانت تخرج لترى مغزى التفاف ١٢ شاباً يميز كل منهم من شخصية وهدف تحت قيادة شخص واحد. يقول الدكتور ج. إلدرجمنج Elder Geming إن اختيار ١٢ شخصاً كان شيئاً غير عادي، لأنه كان يبدو وكأنهم غير منوطين بأداء أي عمل في ذلك الوقت.

«فليس لديهم أي حرفة، وقد تركوا حرفهم التي كانوا يقومون بها: كصيد السمك، وجمع الضرائب، والزراعة. لم يكن لديهم عمل يقومون به. فكانوا يمشون حول وخلف قائدهم فقط، ويتحدثون إلى بعضهم البعض، أو يتحدثون معه، وعندما يتحدث إلى الناس الذين يبدأون في التجمهر، يستمعون شأنهم شأن الآخرين. الشيء الوحيد الذي كانوا يعملونه أن ينتقلوا من مكان إلى آخر. فهم عاطلون إذن وتثار هنا علامة استفهام بشأن ما إذا كان ذلك يتسبب في إلحاق الضرر بالآخرين، أو يدعو للقيل والقال لأن ١٢ رجلاً قد باتوا عاطلين عن العمل دون وجود مبرر لذلك، مع إهمال الواجبات الواضحة ليكونوا هكذا كان ذلك في بداية الدعوة بعد اختيار التلاميذ».

ظل تلاميذ المسيح فترة من الزمن يتهذبون أو يتعلمون وكان عليهم أن يتعلموا قبل أن يعلِّموا الآخرين، ومن ثم بدأوا يرقبون المسيح عن كثب عندما بدأوا في اتباعه. ولكن ما هي الدلالة من وراء عدد التلاميذ المختارين، بالإضافة إلى نوعية الرجال الذين اختارهم؟ إن العدد ١٢ هو العدد الذي يدل على اكتمال السلطة الحكومية، ولذا فلم تكن مصادفة أن يختار مثل هذا العدد. يقول الدكتور صموئيل شادويك «إن حقيقة أن يسوع عين ١٢ يعتبر مثالاً واضحاً على أسباط أمة جديدة، وشعب متميز آخر» لقد جاء كالمسيا وصلب حتى يأتي بأمة روحية إلى الوجود (إش ٦:١١-١٠) لم يأت قبل المسيح معلم آخر تجاسر على تأكيد مثل هذا الإدعاء.

في التعامل مع الدلالة الرمزية لعدد جماعة الرسل يقول أ.ب بروس في كتابه الخالد «تدريب الاثنى عشر».

«إن هذا العدد يعبر بلغة الأرقام في نغمة تبعث على السرور على ما قاله يسوع عن نفسه، وما جاء لكي يفعله، وبذلك فهو يقدم سنداً للإيمان وحافزاً لتكريس تابعيه. إنه إشارة واضحة بأن يسوع كان ملك إسرائيل والمسيا الإلهي، وأنه قد جاء ليؤسس ملكوتاً كان الأنبياء قد بشروا بقدومه بلهجة حارة وقد أوصت به تلك الأيام العطرة في تاريخ إسرائيل، عندما كانت الحكومة الدينية سبباً في وحدة الأمة، وكانت كل الأسباط الاثنى عشر متحدة تحت اللواء الملكي لبيت داود. وكون العدد ١٢ قصد به أن يكون غامض المعنى يتضح من كلمات المسيح نفسه للرسل في مناسبة لاحقة، عندما كان يصف لهم المكافآت التي تنتظرهم في الملكوت لأجل الخدمات السابقة التي قدموها والتضحيات التي بذلوها حين قال «الحق أقول لكم إنكم أنتم الذين تبعتموني في التجديد متى جلس ابن الإنسان على كرسي مجده تجلسون أنتم أيضاً على اثنى عشر كرسياً تدينون أسباط إسرائيل الاثنى عشر» (مت ٢٨:١٩).

فحص القادة الدينيون في ذلك العصر النبوات وأقوال الأنبياء بعقول تترقب علامات أزمنتهم (يو ١٩:١)، وكان

يبدو كما لو أن المسيح كان يشكل جاذبية مباشرة وإلهاماً لخيالهم وإيمانهم، كان يشارك فيه الاثنى عشر. لذا فقد كانت الأفكار متوجهة نحو هذا العدد، ليس فقط من نحو الآباء، ولكن أيضاً من نحو الكلمة النبوية، الأكيدة، والتي ربطتهم بشخص يستحيل أن يكذب. كان هذا الشخص مرساة مؤتمنة للاثنى عشر مكنتهم من التغلب على تلك العواطف الهوجاء، والتي هبت عليهم فيما بعد، بقوة إعصار هائل.

توجد أربعة سجلات مقدمة في العهد الجديد لأسماء الاثنى عشر رسولاً: ثلاثة منها موجودة في الأناجيل، وواحد في سفر أعمال الرسل. وتكشف القائمة التالية اختلاف ترتيب الاسماء:

متى	مرقس
سمعان بطرس	سمعان بطرس
أندراوس	يعقوب
يعقوب بن زبدي	يوحنا
يوحنا	أندراوس
فيلبس	فيلبس
برثولماوس	برثولماوس
توما	متى
متى	توما
يعقوب بن حلفي	يعقوب
لباوس أو تداوس	تداوس
سمعان القانوي	سمعان القانوي
يهوذا الإسخريوطي	يهوذا الإسخريوطي
(١٠:٢-٤)	(٣:١٦-١٩)

لوقا	أعمال الرسل
سمعان بطرس	بطرس
أندراوس	يعقوب
يعقوب	يوحنا
يوحنا	أندراوس
فيلبس	فيلبس
برثولماوس	توما
متى	برثولماوس
توما	متى
يعقوب بن حلفي	يعقوب بن حلفي
سمعان الغيور	سمعان الغيور
يهوذا أخو يعقوب	يهوذا أخو يعقوب
يهوذا الإسخريوطي	متياس
(٦:١٤-١٦)	(١:١٣-٢٦)

من السمات المميزة لقوائم الأناجيل أن بطرس أبرز شخصية بين الاثنى عشر يأتي دائماً في المقدمة، بينما ينهي يهوذا الإسخريوطي القوائم الثلاثه الأولى مع ذكر اللقب المخزى الملتصق به «الذي أسلمه» ويذكر عدة لاهوتيين الأسماء مرتبطة بالدور الرسولي لكل منهم ويقسموهم إلى مجموعات أو ثنائيات. ويستعير أ.ب بروس، ألقاباً مميزة من تاريخ الإنجيل بصورة عامة، ويعطينا التقسيمات التالية:

المجموعة الأولى

سمعان بطرس	الرجل الصخرة
أندراوس	أخو بطرس
يعقوب	ابنا زبدي
و	و
يوحنا	ابنا الرعد

المجموعة الثانية

فيلبس	السائل المتحمس
برثولماوس أو	الإسرائيلي الذي
نثنائيل	لاغش فيه
توما	الشكاك
متى	العشار (كما سمى نفسه)

المجموعة الثالثة

يعقوب بن حلفى	يعقوب الصغير؟ (مر ١٥:٤٠)
لباوس أو تداوس أو يهوذا	التلميذ ذو الثلاثة أسماء
أخو يعقوب	
سمعان	الغيور
يهوذا الإسخريوطي	الذي باع سيده

يرى دانيل ماكلين إنه مما يلفت الانتباه أن قوائم الأسماء تكاد تكون هي نفسها في كل البشائر ويقول «من الواضح أن التصنيف يستند إلى ترتيب الاستحقاق أو التفوق في الخدمة في ملكوت النور والحق. وكان التفوق يستند إلى الشخصية والقدرة والقيام بالواجب، ولم يكن للمحسوبية أي مكان، وكانت عائلة المسيح هي الأقل شهرة في التاريخ. وثمة أربعة صيادين بسطاء على المرتبة الأولى من التمييز. كان مقياس المسيح هو الشخصية وليس الحالة الاجتماعية، وحتى أفقر الناس اضطروا للاعتراف بذلك». إن الرصيد الذي في البنك، وليس الشخصية يضع الكثيرين على رأس القائمة في مجتمعنا البشري، ولكن عند اختيار الاثنى عشر، سار يسوع على النقيض من التقرير العالمي للأهمية والنفوذ، باتباع طريقة للتميز مبنية على المبادىء الأخلاقية والروحية.

٤- الاختيار كشف اثنى عشر شخصاً نموذجياً

لم تكن دعوة المسيح للاثنى عشر مبنية على أسباب منطقية ومتعقلة، وإلا ما كانت اشتملت القائمة على عشار، هذا بخلاف الإسخريوطي. وإزاء هذا التجاهل الغريب للحكمة العالمية نجد، على النقيض، في ذلك الاتجاه تأثير الحكمة الإلهية في تقوية الإيمان وكشف الرياء. فلنفرض أن المعلم قد كون كنيسته الأولى من أناس مثقفين وأغنياء، ذوي طبائع نادرة وعالية المستوى - أناس لا يشكون فيما يقوله ولا يهربون من الخطر، أو يتصرفون بناء على دوافع دنيا بالرغم من وجود الدوافع النبيلة. كم كانت ستكون خسارتنا كبيرة! فالرسل بالنسبة لنا لم يكونوا رجالاً يتميزون بقدرات خارقة، ليست لهم علاقة بضعفاتنا، وتجاربنا والصعوبات التي نتعرض لها. فقد اختار يسوع اثنى عشر شخصاً عادياً مثلنا. وعندما ندرس شخصياتهم، نعرف بالبداهة أنهم عظم من عظامنا.

قال الرسول بولس «ليس كثيرون حكماء حسب الجسد ليس كثيرون أقوياء ليس كثيرون شرفاء».. شكراً لله، لأن البعض قد دعوا، وكان بولس واحداً منهم، ولكن على العموم، فالحكماء والشرفاء لا يشعرون بحاجتهم للمخلص، كما يشعر عامة الناس. ولذلك فقائمة الاثني عشر تخلو من اسم رجل من الشرفاء أو معلم من معلمي اليهود، أو رجلاً ثرياً. ولو كان الشاب الغني على استعداد لاتباع المسيح، لكان في مقدوره أن يكون رسولاً. لقد اختار يسوع أناساً ودعاء كصيادي السمك - متضعين يكتنفهم الغموض - لأنهم أفضل من كان يمكنه اختيارهم. ومع ذلك، فربما برغم حالتهم المتضعة، ما كان يمكن العثور على من هو أفضل منهم. ولأن الله يخفي عن الحكماء ما يعلنه للأطفال، فقد اختار أولئك الذين كانوا فقراء وقابلين للتعليم كالطين الذي يشكل منه أسمى العبقريات الروحانية، تماماً، كما فعل فيما بعد، حين اختار مودي وسبرجن وبنيان - وقد كانوا رجالاً ذوي قدرات روحية هائلة مع أنهم كانوا لا يحملون أي قدر من التعليم الجامعي (الذي لا يمكن الاقلال

من شأنه).

والسطور التي كتبها ج.ب.س ستريكلاند في هذا الصدد تصلح لهذه المناسبة.

غير متعلمين مع أنهم حكماء
في أهم الأشياء.
رجال الله هؤلاء كانوا شجعاناً
بين الآلاف المؤلفة من البشر
وقد أثبتوا أنهم كانوا
مع ذاك الذي مات
ولأجل العالم الخاطيء
قد صلب
وبفضل قربهم منه
دانت لهم الحكمة
التي أثبتت كفاءتها
في مواجهة ذلك العمل الشاق
لأنهم كانوا مع يسوع
وسمعوه وهو يتكلم
وعرفوا قيمته
وأسلوبه في الوداعة
ولكنهم علموا فوق كل شيء أنه
قد أتى من الله
وباتباعهم إثر خطوات سيدهم المقام
ازدادوا معرفة، ولكنها لم تكن
معرفة مستقاة من الأرض

لذلك فالاثنا عشر الذين اختارهم المسيح، كانوا اثنى عشر رجلاً، ويتميزون بقدر كبير من الخلاف والتنوع في الطباع والميول، لم يكونوا اثنى عشر نسخة متكررة، واثنى عشر جهازا متشابهاً. واثنى عشر تمثالاً من الجص وضعوا فوق قالب واحد. فلا واحد منهم يذكرنا بشخص آخر. كل واحد منهم يبرز بشخصيته المتميزة. فعلى سبيل المثال، كان بطرس مندفعاً وواثقاً من نفسه، ولكن أندراوس أخاه، يحرص على المكوث في الخلف وليس فضولياً. ويعقوب شبيه بالبركان، ولكن نثنائيل مثل بركة ماء هادئة صيفاً. وكان فيلبس دائماً يقدر لرجله موضعها قبل الخطو بعكس بطرس. بعضهم ولد ليتولى زمام القيادة، والبعض الآخر كان قانعاً بالانقياد.

اختير هؤلاء الاثنا عشر كممثلين على نطاق ضيق لكل الجنس البشري، الذي يحوي تفاوتاً كبيراً في الأنماط. كم كان العالم مملاً لو أن كل ما فيه من أفراد كانوا متشابهين في كل شيء! وكون الله يحب التنوع نراه ماثلاً في كل شيء في الطبيعة كما هو بين البشر. اقترح بعضهم أنه باختيار الاثنى عشر، كان المسيح يجري تجربة على كل الجنس البشري، فما دام في مقدوره أن يأتي بهؤلاء الاثنى عشر ليكونوا تحت سلطانه ويخضعهم للتشبه به في صفاته، لكان ذلك دليلاً على أن كل البشر يمكن أن يخضعوا لهذا السلطان، وفي ذلك إعلان نبوي على أن خلاصه متاح لجميع الطبقات على اختلاف مشاربها وسجاياها. والاختيار كان دليلاً أيضاً على أن يسوع كان مستعداً وقادراً في نفس الوقت على توظيف كل أنواع المواهب وكل الطبائع لخدمته. ولاشك أنه لو كان الاختيار بيدنا، لتركنا عدداً كبيراً من الاثنى عشر، واخترنا آخرين، فليس كل القادة على استعداد لاختيار أندراوس الخجول، ولا توما الشكاك، ولا فيلبس المتردد ضمن أتباعهم. ولكن يسوع، الذي جاء كابن الإنسان وعلم ما كان في الإنسان، كان لديه متسع لكل العينات في شركته وخدمته. فكل الشخصيات سواء كانت بارزة أم نكرة، يمكن أن يصوغها الفخاري الأعظم من جديد ويجعلها قادرة بالله على هدم حصون العدو.

قال يسوع «كل من يأتي إلي لا أخرجه خارجاً» وقائمة الاثنى عشر تكفي لإثبات محبته التي تحتضن الجميع، وأنه ليس لديه محاباة لأحد، وأن الناس من مختلف الطباع والمزودين بكل أنواع المواهب يجدون لديه ترحيباً دون تمييز. وقد أوضح أكثر من كاتب الفروق التي لا تنتهي بين الرسل.

فبالنسبة لاختلاف الأمزجة نجد مثالاً في بطرس ويوحنا.

بطرس – رجل الأفعال – الجسور، المندفع، ذو الروح الوثابة الحماسية.

يوحنا – رجل الصلاة – صاحب القلب المحب، والشخص الهادىء الكثير التأمل.

وكمثال على الاختلاف في المواهب الروحية لدينا برثولماوس وتوما.

برثولماوس، أو نثنائيل – كان مبادراً إلى الإيمان وعلى استعداد للاعتراف.

توما، كان كثير الشك ولا يقبل شهادة الآخرين بسرعة.

ونجد مثلاً على الاختلاف في الآراء السياسية بشكل صارخ وعنيف في التناقض بين متى وسمعان القانوي.

كان متى عشاراً، أو جابياً للضرائب، خادماً للحاكم الروماني، وكان يرتدي الزي الرسمي لخادم روما.

وكان سمعان غيوراً، متمرداً ضد روما، كان سيفه مسلولاً ضدها وكان يكره جمع الضرائب لها.

لقد جذب المسيح إليه الناس من جميع الألوان – الأبيض والأسود والأحمر والأصفر – على مر العصور، جذب أناساً مختلفين كأغسطينوس وبنيان، أناساً من جميع الديانات كما جمع أناساً لا يؤمنون بأي دين. لديه متسع للكل وفي خدمته هناك تنوع في الوحدة.

تظهر أسماء الاثنى عشر على أحجار الأساس لأورشليم الجديدة التي أسهم إخلاصهم وتكريسهم في بنائها. لاشك أن الدرس الظاهر الذي نتعلمه من تنوع قائمة الرجال الذين اختارهم يسوع هو ألا نحتقر مواهب أي إنسان، ولا نجعل إنساناً يحتقر مواهبنا. هل هناك أيضاً أي دلالة في أن يطلق على الاثنى عشر لفظ جليليين؟ ثم التعرف على بطرس كجليلي من لغته (مر ١٤:٧٠)، وجموع كثيرة تبعت يسوع من الجليل (مت ٤:٢٥)، وكان ينظر إلى التلاميذ «كالرجال الجليليين» «أترى ليس جميع هؤلاء المتكلمين جليليين؟» (أع ١:١١،٢:٧). كان ينظر إلى الجليل من قبل أهل أورشليم واليهودية كإقليم يسكنه أناس «متخلفون، ضيقو الأفق وغير مهذبين».

كان أهل اليهودية يشعرون أنهم أرقى من الجليليين، وأكثر تهذيباً وتعليماً. وقد كانوا بالتأكيد أكثر محافظة في الشئون الدينية، وأكثر تمسكاً بتقاليد معلمي اليهود والنظام الكهنوتي من أهل الجليل، كان أهل الجنوب أكثر فخراً بقلوبهم وعقولهم المغلقة بعناد في وجه الأفكار الجديدة عن أهل الشمال ولذا فقد اتجه يسوع نحو الأخيرين لأنهم كانوا أفضل استعداداً لقبول تعليمه – فكانوا أقل غروراً، ولذلك كانوا أكثر قابلية للتعلم. ومع أن الجليليين ربما كانت تنقصهم الثقافة المصطنعة، التي كان يهود الجنوب يفخرون بها، إلا أنهم كانوا أذكياء ويقظين عقلياً، وعلى اتصال وثيق بعالم الأمم، كان تعليمهم أقل دقة ولكنه كان عملياً بشكل أكبر مما أهلهم بدرجة أكبر للهدف والتدريب اللذين حصلوا عليهما من رجل الجليل.

ما لا يجب أن ينسى أن اختياره قد تم بحكمة صادقة! فلكونه باراً وعادلاً، لم يكن ينقاد لمشاعر الكراهية تجاه أولئك الذين كانوا يتمتعون بامتيازات ثقافية واجتماعية، أو يظهر أي نوع من التحيز لنفر من طبقته المتواضعة. فالتحيز لإقليم معين لم يدفع يسوع لاختيار رجال بدائيين،

غير متعلمين وضعفاء، ولم يكن يحركه أي مقدار ضئيل من الحقد ضد المعرفة والثقافة أو نبل المنشأ. فلو كان أهل اليهودية أظهروا أي استعداد لقبول دعوته والإيمان به، لاختارهم، كما اختار فيما بعد الطرسوسي ذا الثقافة العبرية، والذين يشعرون بدرجة كبيرة من الكبرياء تمنعهم عن أن يكونوا تلاميذه لا يمكنهم أن يكونوا خداماً في ملكوته، ولهذا السبب فهو يتجه للرجال المتضعين الذين يمكنه أن يجعل منهم رسلاً. وكما يعبر الرسول العظيم نفسه عن ذلك بالقول: «بل اختار الله جهال العالم ليخزي الحكماء. واختار الله ضعفاء العالم ليخزي الأقوياء واختار الله أدنياء العالم والمزدرى وغير الموجود ليبطل الموجود لكي لا يفتخر كل ذي جسد أمامه» (١كو ١:٢٧-٣١، انظر مت ٣١:٢١).

فالجليليون إذن هم الذين تلقوا امتيازاتهم، وأوامرهم، وتعليماتهم بشكل جماعي وليس بحكم مراكزهم الشخصية، كما تبين التعبيرات التالية:

«دعا تلاميذه الاثنى عشر» (مت ١:١٠، مر ٧:٦).

«وأما أسماء الاثنى عشر رسولاً فهي هذه» (مت ٢:١٠)

«هؤلاء الاثنا عشر أرسلهم يسوع» (مت ١:١١)

«أخذ الاثنى عشر تلميذاً على انفراد» (مت ١٧:٢٠)

«حينئذ ذهب واحد من الاثنى عشر» (مت ١٤:٢٦، ٤٧، مر ٤٣،٢٠:١٤).

«اتكأ مع الاثنى عشر» (مت ٢٠:٢٦)

«أقام اثنى عشر ليكونوا معه» (مر ١٤:٣)

«نادى الاثنى عشر» (مر ٣٥:٩، لو ١:٩)

«خرج إلى بيت عنيا مع الاثنى عشر» (مر ١١:١١)

«ولما كان المساء جاء مع الاثنى عشر» (مر ١٧:١٤)

«دعا تلاميذه واختار منهم اثنى عشر» (لو ١٣:٦)

«كان يسير.. ومعه الاثنا عشر» (لو ١:٨)

«فتقدم الاثنا عشر» (لو ١٢:٩)

«وأخذ الاثنى عشر» (لو ٣١:١٨)

«أتكأ والاثنا عشر رسولاً معه» (لو ١٤:٢٢)

«فقال يسوع للاثنى عشر» (يو ٦٧:٦)

«أليس أني أنا أخترتكم؟» (يو ٧٠:٦)

«أما توما أحد الاثنى عشر...» (يو ٢٤:٢٠)

«فدعا الاثنى عشر جمهور التلاميذ» (أع ٢:٦)

«ظهر لصفا ثم للاثنى عشر» (١كو ٥:١٥)

«أسماء رسل الخروف الاثنى عشر» (رؤ ١٤:٢١)

عندما نفكر في التلاميذ الذين ذكرت أسماؤهم، وحتى التلاميذ العديدين الذين لم تذكر أسماؤهم والذين جمعهم يسوع من حوله، يبدو أنهم مجموعات متباينة. فقد كان السبعون الذين اختارهم وأرسلهم، والذين يشكلون، كما نقول، «الإطار الخارجي» كانوا بالفعل أتباعه، ولكن لم تكن لهم نفس الصلة الحميمة التي كانت مع الآخرين، ثم لدينا الاثنا عشر، الذين اختارهم يسوع واعتمد عليهم كثيراً، أولئك الذين كانوا يشكلون «مجلس وزرائه» ولكن بين الاثني عشر، كان هناك ثلاثة، كانوا مرتبطين معاً في مناسبات عديدة، هؤلاء الثلاثة كانوا شهود عيان لجلال ربهم وتجليه. وكما ذكرنا من قبل، فإن بولس يدعو بطرس ويعقوب ويوحنا، أعمدة الكنيسة، ويمكننا أن نعتبرهم «مجلس الوزراء المصغر» للسيد وبالإضافة إلى ذلك، كان بين الثلاثة واحد كان يبدو أن له مكان الصدارة، ألا وهو يوحنا، والذي قيل عنه أيضاً «التلميذ الذي كان يسوع يحبه» وهو الذي اتكأ في حضن سيده وكان له فهم روحي أكبر لفكره من أي رسول آخر. وقد يكون ذلك أحد أسباب اختيار يوحنا ليقدم لنا «إعلان يسوع المسيح» الرائع المتضمن في آخر سفر في الكتاب المقدس.

وفيما بعد سوف نتعامل مع الاثنى عشر كل على حدة. في السابق، نظرنا إليهم كوحدة واحدة، واستطعنا أن نستجمع من العبارات المختارة، التفويض الممنوح لهم ككل، والتصريح الذي أعلنه المسيح بالهدف من اختيارهم. كانوا يكونون أخوة مترابطة كنسيج واحد. وعلى الرغم من الاختلافات التي كانت بينهم كأفراد، إلا أنهم كجماعة كانت أنظارهم متعلقة بالإنسان يسوع المسيح، كمحور للجاذبية التي تجعلهم متعلقين به، والذي لنا فيه جميعاً ميراث واحد. إنه الكرمة، ونحن الاغصان.

٥- نجم عن هذا الاختيار أن أصبح الاثنا عشر رسلاً

فهمنا للفظ رسول يعدنا للتأمل في مهمة الشخص الملقب بهذا اللقب. فالكلمة في اليونانية apo-stolos بمعنى رسول وهي مأخوذة من الكلمة اليونانية Apostello حيث Stellein تعني يرسل. وكلمة Stello تعني يرسل شخصاً في حملة أو بعثة، أو يبدأ في رحلة وكلمة Apo تعني بعيداً عن، ولذا فإن Apo-Stello تعني يرسل بعيداً، عادة لأداء مهمة ما، والـApostolos هو الشخص المرسل. وكلاً من الفعل والاسم يتردد كثيراً في العهد الجديد، والفعل يترجم عادة «يرسل» والاسم يترجم «رسول». يرد الفعل ٩٧ مرة، والاسم ٩ مرات في الأناجيل، يقول ماكلين إنه «في اللغة اليونانية الكلاسيكية كانت الكلمة قاصرة تقريباً على معنى حملة بحرية، أسطول مرسل في مهمة إلى بلد أجنبي». (١مل ١٤:٦، عب ١:٣).

واللقب Apostoloi (رسل) كان قد أعطي بمعنى خاص للاثنى عشر، على الرغم أنه لم يكن قاصراً عليهم، كما سنرى الآن. بدأت الديانة المسيحية في فلسطين كطريق أو شيعة في إطار الديانة اليهودية «حتى إذا وجد أناساً من الطريق» (أع ٩:٢، ١٧:١٦). «وحدث في ذلك الوقت شغب ليس بقليل بسبب هذا الطريق» (أع ١٩:٢٣، ٤:٢٢، ١٤:٢٤، عب ١٠:٢٠) تحدث يسوع عن نفسه بأنه هو الطريق (يو ١٤:٦). وجاء القادة أو المرسلون من هذا الطريق، أو المذهب، كانوا الرسل «الذين أرسلوا» أو المبعوثين الروحانيين. وفيما بعد، في اليهودية كان الـApostoloi (الرسل) هم المبعوثون المرسلون من قبل السلطة الكهنوتية في أورشليم لجمع الجزية المقدسة من يهود الشتات.

لم تكن الكلمة العبرية تدل على مجرد (رسول) بل (مندوب) يحمل رسالة، وعلى قدر اتساع مجال الرسالة الممنوحة له، كان يستخدم نفوذ صاحب الرسالة.

يقول التلمود «إن رسول أي شخص يمثل تماماً الشخص الذي أوفده» وبهذا المعنى كان الرسل هم الممثلين الرسميين للمسيح الذي أرسلهم «كما أرسلتني إلى العالم أرسلتهم أنا إلى العالم» (يو ١٨:١٧) هنا فالفعل (يرسل) أصل لكلمة رسول. عندما قال يسوع «دفع إليّ كل سلطان، اذهبوا..» كان يوحي بأنه كان يمنح لكل الرسل كل السلطان اللازم والنفوذ ليعملوا كمندوبين له. ولذا فقد مضوا قدماً باسمه... ولكن كما يعبر عن ذلك الدكتور ج.س لامبرت في دائرة المعارف الدولية للكتاب المقدس:

«كانت سلطة الإرسالية روحية وأخلاقية وشخصية، لم تكن رسمية، وبحسب طبيعة الموقف لم تكن قابلة للتحويل إلى الآخرين. وقد طالب بولس لنفسه استقلالاً كاملاً عن رأي كل هيئة الرسل الأوائل (غل ٢:٦،١١). وفي محاولته للتأثير على الذين تجددوا على يديه حاول جاهداً بإعلان الحق أن يمتدح نفسه لدى ضمير كل إنسان في نظر الله (٢كو ٤:٢) ليس هناك دليل على أن الرسل كانوا يمارسون كجماعة سلطة مستقلة مستبدة».

وبسبب هذه السلطة الممنوحة لهم مضى الرسل قدماً إلى أقصى البقاع، ومعهم أوراق اعتمادهم كأكفاء قادرين

على الإقناع كقدرة الرب نفسه على ذلك، إن لم يكن أكثر (مت ١٨:٢٨-٢٠، مر ١٦:١٩-٢٠، يو ١٢:١٤). أن تأسيس الكنيسة واتساع رقعتها في كل بقاع العالم كما هو مدون في سفر أعمال الرسل يثبت كيف أن المرسلين قد خلدوا عمل السيد.

ثم أن الدعوة لعمل الرسول قدمت بطرق الواعدين مختلفة. في بداية خدمته الأرضية وجد يسوع تلاميذه الواعيدين حيث كانوا يعملون جاهدين للحصول على خبزهم اليومي ودعاهم ليتبعوه (مت ١:١٠) وبعد قيامته تكررت هذه الدعوة، وأصبحت دائمة، وأخذت طابعاً عالمياً (مت ١٩:٢٨-٢٠، أع ٨:١).

دعى متياس أولاً عن طريق أخذ أصوات جماعة الأخوة بصفة عامة وبعد ذلك عن طريق القرعة (أع١:١٥-٢٦).

وتلقى بولس دعوته في رؤيا سماوية (أع ٢٦:١٧-١٩)، والتي صادقت عليها الكنيسة بعد ذلك في أنطاكية، ثم صادق عليها الروح القدس (أع ١:١٣) وقد أكد بولس بقوة أنه تلقى إرساليته من السماء مباشرة (غل ١:١).

وقد أُرسل برنابا من قبل الكنائس في أورشليم وأنطاكية (أع ١١:٢٢، ١:١٣). وتفسر مهمة بولس وبرنابا اللقب المعطي لهما (أع ٤:١٤). فلم يكونا رسولين للكنيسة فقط بل للمسيح وللروح القدس أيضاً (٢٧:١٤).

ما هو قوام الدعوة في حقيقة الأمر؟ أليست الدعوة تشتمل على احتياج والقدرة على تلبية ذلك الاحتياج؟ لقد دُعي بولس ليكون رسولاً وعاش في عالم في حاجة ماسة إلى المسيح وقد أشفق المسيح على ذلك المتمرد الذي التقى به في ذلك الطريق إلى دمشق، وغير حياته وأمد بولس بكل القوة والسلطة اللازمين لتلبية احتياجات العالم. فالرسل إذن قد تمت دعوتهم لكي يرسلوا. يقول لوقا عن الاثنى عشر إنهم «اختيروا ليكونوا رسلاً» لقد دعوا واختيروا- لماذا؟

لقد دعوا واختيروا لا لحياة الدعة والهدوء، بل لشركة آلامه، كما يقول الدكتور ج.د جونز:

لقد دعوا حتى يرسلوا، وأرسلوا ليبشروا:
برابرة في ليكأونية
والكليتيون في سلاترا
وعابدي أرطميس في أفسس
وفلاسفة أثينا
وفيالق الجنود في روما
لقد دعوا-
ليرجموا في لسترة
ويجلدوا في فيلبي
ويسجنوا في قيصرية
وليموتوا خارج الباب

هل اختيروا لمجرد أن يكونوا مع المسيح، ويستمتعوا بشركته الحلوة المباركة؟

كلا، لقد اختيروا-
حتى يرسلوا
وخلصوا حتى يخلصوا الآخرين
وبوركوا ليكونوا بركة.
وتم فداؤهم حتى يبشروا بإنجيل الفداء.

اختيروا حتى يعلنوا اسم المسيح أمام الحكام والملوك وأمام بني إسرائيل، ويعانوا الكثير لأجل ذلك الاسم.

ما نتعثر في فهمه أن الدعوة والإرسال وجهان لعملة واحدة. عندما خلصنا المسيح لم يكن ذلك لكي نقضي كل وقتنا في شركة معه، مع أن هذه الشركة ضرورة ملحة لنا. الهدف من هذه الدعوة أن نتمم عمله، ونعلن اسمه، ونوصل رسالته، ونعلي رايته. أليس من المحزن أن نفرح بالدعوة، ونقف مكتوفي الأيدي، ونشكر الله لأننا خلصنا وننسى كل ما يتعلق بالرسالة؟ إن التلمذة يجب أن تنتهي بالإرسالية،

إننا يجب أن نكون على استعداد لأن يرسلنا السيد حيثما أراد حال أن نخلص.

وبالنسبة للرسل الأوائل يبدو كما لو كانت هناك ثلاث مراحل متتابعة في تدريبهم وتعليمهم في مدرسة المسيح، حيث أن التعبيرات المختلفة التي قيلت عنهم توحي بذلك. ألم يقل المسيح إنه لو أن الذين دعاهم تبعوه لصنع منهم رجالاً؟ لقد قيل إن المسيح خلافاً لبعض المعلمين لم يكتب كتاباً ليخلد عمله وتأثيره. لم يكن هناك ما يدعو لذلك. فالمسيح صنع رجالاً، لا كتباً. ما هي الجوانب الثلاثة في إعداد رجال الجليل لخدمة الجليلي نفسه؟

الخطوة الأولى : التلمذة

ارتباطاً بدعوة السيد في البداية «اتبعني» كانت هناك أزمة القرار الشخصي -- التعهد المحدد الشخصي تجاه المسيح. ومالم نحصل على غفران حقيقي لا يمكن أن نتبعه، وعندما استجاب الذين دعاهم، أصبحوا للمسيح. في العديد من المرات يؤكد الرسول بولس أهمية الخلاص «الذي خلصنا ودعانا دعوة مقدسة» (٢تي ١:٩). التجديد يسبق الدعوة. ولا تكون الخدمة مقبولة في نظر الله ما لم يتم الخلاص أولاً. كثيرون ينشطون في مجال العمل الديني ويسعون للخدمة حتى يخلصوا – مما يعني وضع العربة أمام الحصان. نحن نخدم لأننا خلصنا ويجب أن يكون هناك التزام بمطالب المسيح قبل أن يسكب علينا قوة الروح للخدمة (٢تي ١:١٢،١٤). قدم بولس الشكر للمسيح يسوع ربه إذ جعله للخدمة – ولكن لم يحدث ذلك سوى بعد أن فهم – أول الخطاة – أن المسيح قد جاء إلى العالم ليخلصه (١تي ١:١٢–١٧).

بعد استجابة الاثنى عشر لدعوة السيد الأولى، شرعوا في التلمذة ودخلوا ما يمكن أن نطلق عليه مرحلة الاستقبال، لأنهم عندما كانوا يتحركون معه رأوا معجزاته، واستمعوا إلى كلماته العجيبة، وشعروا بلمسة حياته المكرسة وتأثيرها على حياتهم، كان عليهم أن يتعلموا من المسيح، قبل أن يعلموا الآخرين عنه. إن كلمة تلميذ تعني «متعلم» وكان التلاميذ الأوائل كالتلاميذ في المدرسة الابتدائية. ولذلك، كان أول احتكاك لهم مع المسيح كمعلمهم. لم يكن بإمكانهم أن يقوموا بعمل الرسل ما لم يتتلمذوا على يد المسيح أولاً.

ولأن المؤسس العظيم للإيمان أراد لملكوته أن يتأسس على صخرة الاقتناع العميق والراسخ في عقول نفر قليل من البشر، بدلاً من بعثرة حقيقته على «الرمال المتحركة للانطباعات السطحية السريعة الزوال على عقول الكثيرين»، كان يسوع حريصاً باذلاً أقصى الجهد في التعليم الروحي لتلاميذه، ليتأكد من دوام تأثيره. كان عليهم أن يصبحوا كمرايا مصقولة لامعة ليعكسوا صورة ربهم. ومع أن الإخلاص كان يربطهم بشخصه، إلا أنهم في أحيان كثيرة كانوا يندهشون لتعليمه، وكانوا تارة يشعرون بالسرور، وتارة أخرى يتضايقون كثيراً ويحتارون، ومع ذلك فقد كانوا على الدوام ينمون في الإيمان والمشاعر، وقد ارتفعوا فوق قيود التقليد شموخاً نحو حرية الحقيقة الحية. وإذ كانوا يتبعون السيد في حالة من الرهبة، فقد كانوا غالباً غير قادرين على التوفيق بين توقعهم للمسيا وبين اختبارهم. «أأنت هو الآتي أم ننتظر آخر؟».

وها قد أثمر نظام المدرسة، أو كما عبر عنه أ.ب بروس «تدريب الاثنى عشر». فلم يكن التدريب على العمل المستقبلي بلا نفع، أو لم يكن وقت الدراسة لشهود مجيء المسيح عبثاً حتى وإن تضايق المعلم كثيراً للتقدم البطيء لتلاميذه. بعد قضاء السنة الأولى في الاستماع والتعلم، وفي السماع والرؤية (١يو ١:١ ،٢٢)، انتقل التلاميذ بعد التدريب الذي حصلوا عليه من المدرسة وهم مستعدون

تقريباً للخدمة العملية.

الخطوة الثانية: السفارة

بعد حصول التلاميذ على التعليمات المباشرة انتقلوا لمرحلة التدريب العملي كرسل، وأصبحوا سفراء أو مرسلين للمسيح الذي قال «اذهبوا وقولوا هوذا قد اقترب ملكوت السموات». كانت مهمتهم قاصرة على «خراف بيت إسرائيل الضالة»، وكانت قاصرة أيضاً في مداها على مجيء المسيح كملك. وقد ساعدت تجاربهم العديدة عندما مضوا قدماً باسمه، على امتحان لياقتهم للمجال الأكبر من الخدمة البطولية ودعمت إيمانهم عن طريق علامات تدل على الرضا الإلهي.

في هذه المرحلة من تطوير مهارات التلاميذ تم الوصول إلى منعطف هام وذلك بأن التلاميذ الآن كانوا قد تدربوا على إعلان الحق. فبعد أن صاروا معلمين صغاراً في الملكوت، فقد تعلموا الأسرار العميقة وهم يسعون لتوصيلها إلى الآخرين. وقد حذر السيد مبعوثيه مراراً وتكراراً من عدم الحكمة وحاول أن يداوي قلة خبرتهم حتى يمكنهم التكيف من مركزهم الجديد. خلال تلك الفترة من الكرازة كان يسوع يعاملهم كما تعامل أنثى النسر صغارها إذ تدربها على الطيران. وكان القصد من مثل هذا التدريب العملي تعليمهم الانضباط وتوجيههم. وقد أتى التعليم ثماره. يصف دانيل ماكلين هذه المرحلة من الخدمة فيقول: «كانت هذه المحاولة الأولى للكرازة لمدن الجليل تجربة تعليمية، ولكنها كانت أيضاً مجهوداً ملحاً لتلبية العوز الروحي الواضح في كل مكان. ولذلك كان على الكارزين أن يكتسبوا العطف على الآخرين واختبار قوة الله لتؤيدهم حتى يستطيعوا بتبكيت عميق أن يكونوا شهوداً للمسيح عندما يغيب عن المشهد الأرضي. كانت الشفقة على الهالكين ملهمة لرسالة الاثنى عشر، وكان القصد من الاحتكاك بالهالكين تحريك دوافع الشفقة لديهم، وبذلك أمكن التوصل لكلا النتيجتين بإرسال التلاميذ لإعلان إنجيل السلام».

الخطوة الثالثة: الإرسالية

تلقت هذه المرحلة الأخيرة تأكيدها في ليلة مغادرة المسيح للأرض، فإذا كان يعلم أن مشورته الحكيمة لن تكون في خدمة خاصته فيما بعد، فقد وعدهم بحلول الروح القدس عليهم ليكون مصدراً دائماً للحكمة، والعزاء، والقوة (أع ١:٨). وباختيار التلاميذ وتعيينهم وإرسالهم كالمبشرين بالملك وبملكوته، تحولت التلمذة إلى إرسالية وأصبح مركزهم كرسل مرتبطاً بالمهمة الهائلة المنوطة بهم. لقد جلبت هذه الإرسالية معها رابطة أعمق، فلم يعودوا يرسلون كعبيد لتنفيذ أوامر سيدهم، بل أصدقاء للرب، والمشاركين له في فكره، وشركاء في هدفه لفداء العالم كله. وكنتيجة ليوم الخمسين، أصبحت هذه العلاقة أكثر حيوية وعمقاً عندما حمل الرسل ثماراً كثيرة لمجده (يو ١٥:١-٦) لدينا دليل على موقف كل منهم من الآخر تجاه بعضهم البعض كأخوة، ومساراتهم في ذلك التحالف العظيم بينهم. ووحدتهم كرابطة قليلة العدد من الأخوة ضد العالم».

وكتلاميذ، استطاع الاثنا عشر أن يفهموا فكر ورسالة معلمهم، ومضوا قدماً لإعلان الإنجيل الرسولي للمسيح باعتباره السيد والمحب للإنسان. وكأصدقاء، فقد كانوا يشاركون يسوع في أفكاره، والأهداف المرتبطة بمختاريه، وأدركوا رؤيته للنصر الآتي (إش ٤٢:٤، مت ١٣:٤٣). وكأخوة، كانوا جسداً واحداً وأظهروا العلاقات المميزة للكنيسة الرسولية: الوحدة، والصلاة، والمجاهرة، والقوة، والنعمة، والنصر (أع ١:١٤، ٢:١ . ٤، ٤:١٣، ٣١، ٣٣، ٥:١٤). وكرسل، كانوا الرابطة الحية بين ربهم المقام والملك وإرساليته لتحرير نفوس البشر من ذنوب الخطية والعبودية للشيطان.

إن السفر الخامس في العهد الجديد لا يصح أن يدعى (أعمال الرسل)، بل أعمال الروح القدس في الرسل، لأنه كان هبة الفادي لهم قبل أن يودعهم الرب وداعه الأخير الرقيق. ياله من تغيير قوي أجراه الروح في قلوب وحياة الرجال الذين كانوا قد أحسوا أن موت هذا المعلم قد بدد آمالهم المسيانية «كنا نرجو أنه هو المزمع أن يفدي إسرائيل!» (لو ٢٤:٢١). ولكن القيامة ويوم الخمسين قد حولا هؤلاء الأتباع المكتئبين إلى شهود مملوئين بالحيوية. وسفر الأعمال هو الدليل على ولائهم للوصية الإلهية، وتزكية شاملة لاختبار المعلم ورعايته لهم كرسله.

يالها من قصة مثيرة من البطولة تتكشف عندما يندمج رجال فقراء من الجليل في جماعة الرسل المجيدة، وإذا تحرروا من أغلال الحقد والشك، وارتفعوا فوق أحلام الطموحات السياسية. وامتلأوا بروح القوة، لا تخيفهم كل قوى الأرض والجحيم، ظلوا أشداء بقوة الله، ثابتين في شهادتهم لربهم المقام حتى أغلقت شفاههم نتيجة تعرضهم لموت أليم وألبسوا ثوب الاستشهاد. هل هناك سجل أكثر إثارة من ذلك، أو معجزة في تاريخ الكنيسة أكثر دلالة؟ من المستحيل أن يكون لدينا أي دليل عن حقيقة إنجيل المسيح أكثر إقناعاً مما يصوره سفر أعمال الرسل.

ولكي نختتم هذا القسم من دراستنا يجب أن نشير إلى أنه مع أن الاثنى عشر كانوا رسلاً فوق العادة، إلا أنه كانت هُناك دائرة أوسع تشملها الدعوة الرسولية. كان الاثنى عشر مع يسوع وكانت مهمتهم الخاصة هي الشهادة له، خاصة ما يتعلق بقيامته (أع ١:٨-٢١، لو ٢٤:٤٨). ولكنهم لم يكونوا الشهود الوحيدين الذين يطلق عليهم اللفظ «رسل».

بولس، الذي لم يكن ينتمي للاثنى عشر ولا إلى السبعين، قد أرسل مباشرة من قبل الرب نفسه، والذي رأه بولس في الطريق إلى دمشق، فقد دعي ليكون رسولاً (١كو ٩:١، ١٥:٨).

وبرنابا أيضاً قد حصل أيضاً على ذلك اللقب المجيد (أع ١٤:١٤، ١كو ٩:٥،٦) **واندرونكوس ويونياس**، واللذان ربما كانا من السبعين، قد أطلق عليهما أيضاً ذلك اللقب (رو ١٦:٧).

ويشار إلى **أبفرودتس** بلقب «رسولكم» (في ٢:٢٥)

وسيلا وتيموثاوس اللذان كانا رجلين يتسمان بالصفات الرسولية، قد ورد اسمهما مع بولس كرسولين (١تسي ١:١، ٦، انظر ٢كو ١:٦، كو١:١).

أبولس يبدو أن بولس أدرج أبولس ضمن الرسل الذين صاروا منظراً للعالم والملائكة والناس (١كو ٤:٦ .٩)

يشار إلى الرب يسوع، «كالرسول» فيما يتعلق بصلته بالله (عب ٣:١، انظر يو ١٧:٣).

كان بين رسل الكنيسة الأولى، بعض الاختلافات فيما يتعلق بالمواهب الطبيعية، والمتطلبات الشخصية والخبرة، والمواهب الروحية. كان بطرس أعظم من تداوس، ويوحنا أعظم من سمعان القانوي، وبولس أعظم من كل من برنابا أو سلوانس. ولكن ليس هناك واحد يعد رسولاً بحق أعظم من الآخر. فكل واحد منهم قد أسهم بطريقته الخاصة في نشر الإنجيل، وكل واحد خدم الرب إلى الحد الأقصى من مقدرته الشخصية. هاجم بولس بعض العاملين واصفاً إياهم بأنهم «رسل كذبة» (٢كو ١١:١٣). ويتضمن اللفظ «رسالة» (أع ١:٢٥، رو ١:٥، ١كو٩:٢، غل ٢:٨) «الإرسال لتنفيذ مهمة معينة».

لم يكن الرسل، إذن، عبارة عن دائرة محدودة من الأشخاص الذين يشغلون منصباً محدداً يتسم بسلطة في الكنيسة، ولكنهم كانوا مجموعة كبيرة من الرجال المكرسين الذين يمارسون أعلى وظيفة في الخدمة النبوية (١كو

٢٨:١٢، أف ٤:١١)، كانوا جميعهم رسل الإنجيل لعالم غير مؤمن (غل ٢:٧، ٩). وبمرور الوقت أطلق لفظ رسل على مجموعة كاملة من المرسلين المغمورين والمجهولين. والذين في بداية تاريخ العهد الجديد. لم يستقروا في كنيسة معينة، بل كانوا ينتقلون من مكان إلى آخر كرسل الإنجيل، والذين، بممارسة مهامهم الرسولية تحملوا المصاعب التي تحملها أولئك الذين نادوا بالإنجيل من قبلهم.

٦- كان للاختيار أهداف مثالية

بالرغم من ذكر إشارة عابرة أو اثنتين للسبب الذي دعا يسوع لاختيار الاثنى عشر، إلا أننا نأتي الآن لتسليط المزيد من الضوء على الهدف والغاية من الاختيار الذي تم. بعد اختيار يسوع لهؤلاء الرجال، كان عليهم أن يشهدوا حياته، ويكونوا رهن إشارته، ويقبلوا تعليمه، ويشاركوا في خدمته المعجزية، ويشتركوا في تحمل المصاعب التي واجهها، ويشربوا من كأسه المريرة، ويصبحوا أعمدة للهيكل الروحي الأبدي. ما الذي كان من المفروض على هؤلاء الاتباع أن يفعلوه؟ إن مرقس، الذي لم يذكر ضمن الاثنى عشر، ولكنه أعطانا أقدم الأناجيل، يصف مهامهم المثلثة، كان عليهم أن يكونوا مع يسوع، وأن يذهبوا بعيداً لإعلان رسالة الإنجيل، وأن يحوزوا «القوة (أو السلطان) على إخراج الشياطين». ولوقا (وهو شخص آخر لم يدرج اسمه بين الرسل) يخبرنا أن يسوع هو الذي اختار أسماء الاثنى عشر، فقد اختار الرسل، وأمر أن يكون «الشفاء» مهمة من المهام المنوطة بهم. كانت خدمة الرسل والتفويض الممنوح لهم بالقيام بالرسالة والمرتبطان باتباع المسيح واضحين تماماً في هذه السمات الآتية:

كان يجب عليهم أن يكونوا مع يسوع

يخبرنا مرقس أن الرب أقام الاثنى عشر ليكونوا معه (يسوع) (٣:١٤). إنهم لم يكونوا مجرد مدرسة متنقلة، يشغل فيها الرب منصب المعلم لهم، ولكنهم كانوا دائرة أصدقاء له يمكنه أن يجد فيهم الحب والشركة والصحبة والعطف. لاشك أنه لا يوجد شيء أكثر تأثيراً في سجل حياته الأرضية من رغبته في الصحبة والرفقة ففي كثير من الأحيان كان يجد نفسه وحيداً. وعندما مات، تخلى عنه الرجال الذين اختارهم كرفاق وهربوا. وفي البستان، فشلوا أن يكونوا نعم الرفاق المتعاطفين معه والذين طالما بحث عنهم. وإذ وجدهم نيامًا، أصدر ذلك التوبيخ الأليم الذي يردد صدى صرخة قلب يتوق للعطف البشري، «أما قدرتم أن تسهروا معي ساعة واحدة؟». كان يسوع دائماً وأبداً يقدر المحبين الجديرين بالثقة، ومن ثم كان ذهابه إلى عائلة بيت عنيا التي كانت تعيش هناك والمكونة من مريم ومرثا ولعازر، الذين كان يسوع يحبهم. وفي العلية وفي الليلة السابقة لموته عبر عن امتنانه لخاصته الذين ثبتوا معه وكانوا معه في تجاربه بقوله: «أنتم الذين ثبتوا معي في تجاربي» (لو ٢٢:٢٨).

وهكذا، فعلى الرغم من أن أغلبية الذين آمنوا به لم يكونوا سوى أتباع موسميين فقط، إلا أن الاثنى عشر قد اختيروا ليكونوا معه في كل الأوقات وفي كل الأماكن، إذ كانوا رفاقه في السفر في كل رحلاته، معاينين كل أعماله، وكانوا ملتزمين بالوفاء بكل احتياجاته اليومية. ولكنهم كانوا أكثر من مجرد خدام متضعين له، لأنه في ظل شركة يومية حميمة معه قد أصبحوا سفراءه لعالم هالك، كانوا على وشك أن يصيروا رسلاً مهمتهم الأساسية تنحصر في الشهادة لحقيقة قوة الإيمان المسيحي.

تخيل التلاميذ وهم يتحركون من مكان إلى آخر يبدو عليهم الفقر دون حرفة ظاهرية يأكلون منها لقمة العيش، ولكن يسوع كان في وسط هذه الجماعة الصغيرة «كالكنز الذي لا ينضب معينه، ويفيض بذخائر لا تنفذ من النعمة».

من الواضح أنه كان هناك مصدر دخل مشترك لسد إعوازهم، وعندما كان (كيس نقودهم المشترك) يفرغ ويحين وقت دفع جزية غير متوقعة، أو ضريبة، كان المعلم يعرف مكان الحصول على المال اللازم (مت ١٧:٢٧). أليس من المفيد أن نربط ما بين متطلباته بأنهم «يجب أن يكونوا معه» ووعده لهم: «ها أنا معكم كل الأيام وإلى انقضاء الدهر»؟

ومثل هذه الرابطة أكثر من مجرد غريزة في الطبيعة البشرية، إنها ضرورة. في أيام جسده، استطاع يسوع أن يسأل رفاقه كما لم يستطع أن يسأل الآخرين دون أن يساء فهمه (مت ١٦:١٣-١٥). واستطاع أن يكشف من مكنونات فكره لهم كما لم يكشفها للآخرين (يو ١٥:١٥، ١٧:٨)، وكان يتوقع منهم ما لم يستطع الآخرون أن يقدموه له (مت ٢٦:٣٨-٤٠). وإذ كان يسوع ممتناً للصداقة المقدمة له، فقد أظهر تقديره لما فعله الآخرون لأجله عن طريق صلتهم به وثقتهم فيه وصحبتهم له. أليس هو هو أمساً واليوم وإلى الأبد؟

كان يتحتم عليهم أن يكرزوا

دعا المسيح الاثنى عشر «ليرسلهم ليكرزوا» (مر ٣:١٤) وكم كانوا كارزين غير خائفين ومملوءين بالحيوية، عندما كانوا يذهبون مع معلمهم إلى كل مكان وهم يكرزون بالإنجيل! فالشركة مع أعظم كارز لكل العصور قد أعطتهم تدريباً فريداً في فن ومهارة الكرازة، ربما يكونون أناساً عاميين، ولكنهم لم يكونوا جهلة. فبعد أن أخذوا دروساً في فن الوعظ مضوا قدماً للحديث عن أسمى الموضوعات، وهم يحرضون سكان المدن الرومانية واليونانية بأن يحطموا أصنامهم، ويهجروا ديانة آبائهم، ويرفضوا تعاليم الفلسفة الوهمية، ويقبلوا بدلاً من ذلك، معلماً مرسلاً من السماء، يهودياً ذا مقام متواضع، تحمل موت العار. ونتيجة لتأثير كرازتهم المقنعة وشجاعتهم خلصت جماهير غفيرة (أع ٤١:٤، ٤:٤إلخ). كم كان من الممكن أن تحدث ثورة روحية جياشة لو أن كل من يكرز ينادي المناداة الملهمة بقوة يوم الخمسين التي تظهرها الكرازة الرسولية (يون ٣:٢).

وعندما اشتهر يسوع ككارز، بعد معموديته من قبل يوحنا، كان بحاجة إلى آخرين للوصول إلى الناس. في البداية، كان يعمل وحده، وقد أحدثت كرازته إثارة كبرى لأنه لم يتكلم إنسان قط نظيره احتشد الناس لسماعه، ولكن أعماله كانت بالضرورة قاصرة على منطقة صغيرة. لم يتح سوى لمدن قليلة أن تستمتع بامتياز سماعه وهو يكرز، ولكن حيثما نظر كان يرى الحصاد وفيراً والفعلة قليلين. والآن، بعد وجود اثنى عشر كارزاً يعملون معه، استطاع التجاوب مع المطالب المتزايدة لسماع الإنجيل، ومسح من الروح ليكرز. أرسل يسوع تلاميذه، اثنين اثنين، إلى أماكن مختلفة، أساساً ليعلنوا أنه كان على وشك أن يزور تلك الأماكن، وليخبروا كل ما في استطاعتهم أن يخبروه عنه وعن هدفه وأغراضه. وعندما أصبحت مطالب الكرازة أكثر إلحاحاً لاتساع رقعة التبشير، ازداد عدد المرسلين للكرازة حتى تم إرسال سبعين تلميذا آخر ليكرزوا بالإنجيل وهكذا اتخذت أنشطة المسيح المباركة أبعاداً جديدة.

كانت التعليمات التي أعطاها يسوع للكارزين الصغار عندما أرسلهم ليكرزوا ويعملوا بكل ما تلقوه منه، مليئة بالدلالات الروحية لجميع خدام الكلمة في كل العصور. وعلى الرغم من قلة خبرتهم، إلا أنهم مضوا قدماً عند سماع أمره. وقد حذرهم ليس فقط من المخاطر التي كان عليهم مواجهتها، ولكن نبههم أيضاً لضرورة أن يتسموا بصفات معينة ضرورية للشهادة المؤثرة الفعالة. وهكذا ففي بداية مشروعهم المرسلي، ركز يسوع على الواجبات والأخطار والمكافآت المتعلقة بمهمتهم الرسولية عندما استمع الاثنا عشر إلى عظة يسوع الرائعة على الجبل،

سمعوا عن الفضائل التي يجب أن يتحلوا بها مما جعلهم يلمون جيداً بالعمل الذي دعاهم لإنجازه. يذكرنا أ.ب بروس بأن هناك عبارتين يبدو أنهما تلخصان تعليمات المسيح للاثني عشر – لا تهتموا، لا تخافوا. «هاتان العبارتان توجزان كل ما قاله كتمهيد لأول مشروع مرسلي... لأنه طبقاً لهذه الأقوال يتكلم يسوع لكل العصور ولكل الأزمنة، مخبراً الكنيسة عن طبيعة الروح الذي يجب أن تتحلى به للقيام بمشروعاتها المرسلية وتنفيذها، حتى ينال شعبها بركته».

لا تهتموا بشيء

بعد أن «تركوا بيوتهم، وأعمالهم، وذويهم» تاركين كل شيء لأجله، يكون من الطبيعي أن يتساءل الرسل عن مورد رزقهم ورزق عائلاتهم، ولكنهم اكتشفوا أن قرارهم بالتخلي عن كل شيء واتباع ذلك الشخص الغريب من الجليل لم يكن قفزة في الظلام، فالذي اختارهم سوف يعولهم، لقد جعلوا اهتمامه اهتمامهم، واهتمامهم سوف يكون اهتمامه. ولذا فقد حثهم على أن يمضوا قدما ويعملوا دون أن يهتموا بشيء معتمدين عليه في تسديد لوازم الحياة، لقد حذرهم يسوع بعبارات قوية، وحية من خطورة هموم هذه الحياة. فكان عليهم أن يمضوا قدماً دون أن يأخذوا معهم زاداً للطريق متكلين على الوعد القائل: «الله يسدد كل احتياج» ومصلين الصلاة التي علمهم السيد إياها «خبزنا كفافنا أعطنا اليوم» يمكن التعبير عن روح تعليماته وليس حرفيتها بشأن عدم التزود بشيء في رحلاتهم التبشيرية هكذا «اذهبوا وتعلموا أن تطلبوا ملكوت الله بقلب موحد، ولا تهتموا بالطعام ولا بالكساء لأنكم لا تصلحون أن تكونوا رسلي حتى تستطيعوا أن تفعلوا ذلك».

أليس هذا التوجيه بشأن الأمور الزمنية، دليلاً على أن المسيح كان يتوقع من أولئك الذين أرسلهم أن يعيشوا بالإيمان؟ وبالإضافة إلى ذلك، فلأنه تكلم هكذا، ألم يكن هناك التأكيد أنه لن يرسلهم بالمرة على سبيل المخاطرة ولكنهم يجب أن يثبتوا أن «الفاعل مستحق طعامه» (مت ١٠:١٠) . عندما ترك إبراهيم بيت أبيه وارتحل إلى بلد مجهول، تلقى الوعد بأن الله سوف يكون مرشداً له، وترسه، وعائلاً له. نفس الموقف تعرض له التلاميذ الذين قال لهم يسوع «اذهبوا في الحال، واذهبوا كما أنتم، ولا ترتبكوا بشأن الطعام والكساء، أو أي حاجة جسدية، وثقوا في الله بشأن سداد كل إعوازكم». كانت هذه التعليمات مبنية على أساس مبدأ تقسيم العمل وذلك بتخصيص القيام بالمجهود الحربي لخدام الملكوت وإعطاء الله مهمة تقديم المؤن من طعام وكساء» وعلى مر العصور كان هناك أولئك الذين أرسلهم الله للعمل لأجل خلاص النفوس الهالكة، في أرض الوطن وفي الخارج، وقد وثقوا في الله باعتباره هو المسدد لكل أعوازهم كما فعل هدسون تايلور.

ولكن يسوع لم يحث تلاميذه على السير بالإيمان دون إعطاء ذلك الإيمان ما يستند عليه. لقد وجدوا تشجيعاً على ما يجعلهم يأملون أن ما لم يدبروا أمره بأنفسهم سوف يتكفل الله بتدبيره من خلال وساطة أولئك الذين أرسلوا لخدمتهم وحيثما كان يذهب الكارزون كانوا يجدون شخصاً ذا قلب حنون ومضيافاً يرحب بهم في بيته وعلى مائدته «وأية مدينة أو قرية دخلتموها فافحصوا من فيها مستحق وأقيموا هناك حتى تخرجوا» (مت ١١:١٠) وأولئك الذين، بسبب محبة الله التي انسكبت بداخلهم، استقبلوا المبشرين بالإنجيل وعاملوهم معاملة طيبة أخذوا مكافأتهم بمعرفة أنهم باستضافة الرسل فقد استضافوا بالفعل المعلم الذي أرسلهم (مت ١٠:٤٠-٤٢) ولكن في بعض الأوقات، كانوا يستقبلون استقبالاً رديئاً، ولم يكن يرحب بهم، ولكن لم يكن ذلك مدعاة لإحباطهم، حتى وإن كان وجودهم وتبشيرهم

غير مرغوب فيهما، أنهم في هذه الحالة يكونون أبرياء من دم هؤلاء المذنبين (حز ٣:١٧-٢١، مت ١٠:١٣-١٥).

عند هذه النقطة هناك ثلاث ملاحظات أريد أن أنبر عليها، ألا وهي:

١- الاستعداد

«وأوصاهم أن لا يحملوا شيئاً للطريق غير عصا فقط» (مر ٦:٨) الفكرة الرئيسية بخصوص استعدادهم ألا يحملوا سوى القليل جداً، وفي رواية إنجيل متى (١٠:١٠)، فهم ممنوعون حتى من أخذ عصاهم في الطريق، ليس هناك تعارض بين العبارتين، «إذا كان لديك عصا، خذها، وإذا لم يكن لديك واحدة، لا تتعب نفسك للحصول عليها». هذا القول يوفق ما بين الأمرين، وقائمة المحظورات كاملة تقريباً «لا خبزاً ولا كيسا ولا نحاساً في المنطقة، وقد ذكر أبسط نوع من النعال، وهو الصنادل، وتم تحذير المبشرين بالإنجيل بنوع خاص من ارتداء ثوبين، وقد كان ذلك سمة من سمات الأثرياء، كان كل شيء من أبسط الأنواع، كان عليهم أن يسافروا دون أن يحملوا أشياء كثيرة.

وهذه الأوامر الخاصة ليست نهائية فربنا نفسه قد تخلي عنها عندما قال بالفعل «حين أرسلتكم بلا كيس ولا مزود ولا أحذية هل أعوزكم شيء؟ فقالوا : لا فقال لهم لكن الآن من له كيس فليأخذه ومزود كذلك» (لو ٢٢:٣٥،٣٦).

ولكن في الحالة الأولى، كان عليهم أن يعيشوا بالإيمان فقط. كان ذلك جزءاً لا يتجزأ من تدريبهم. إن الترتيبات الزمنية تسير في توافق مع خطة ربنا المعتادة. فقد علم التلاميذ أن الله يمكنه أن يحقق أهدافه دون استخدام الوسائل المعتادة. ولكي يجعل التلاميذ واثقين من ذلك، فهو يمنع في بعض الأحيان استخدام هذه الوسائل. ولكن كقاعدة عامة فإن الله يعمل من خلال القنوات المعتادة، وإذا كانت هذه القنوات متاحة، فالمفروض أنها تستعمل.

من الواضح، أنه لا تأكيد هنا على التقشف، أو تمجيد التزمت، ولكن هناك مبدأ راسخاً بأن المنادين بإنجيل المسيح عليهم أن يجعلوا أنفسهم بعيدين بقدر الإمكان عن شراك العالم وعوائقه. إن المرسل إلى الصين والذي دخل في تجربة حرمان نفسه من كل المؤن سرعان ما اكتشف أنه كان مخطئاً. ومن الناحية الأخرى، فالخادم الذي جمع مالاً بفضل النجاح المادي، ولكنه رفض أن يقوم باستثمارات خاصة به أو يشغل نفسه بارتفاع وانخفاض الأسعار في البورصة، فإنه يمثل المبدأ المنصوص عليه هنا.

إن التمسك بالحياة البسيطة ليس قيداً طبقاً لأقوال يسوع، ففي ذلك فائدة تعود على المبشر، إذا تعلم أن يحيا الحياة الخالية من الهم عن طريق الإيمان بالله المدبر للأمور.

٢- اتخاذ الترتيبات

«حيثما دخلتم بيتاً فأقيموا فيه حتى تخرجوا من هناك» (مر ٦:١٠) ليس هناك مجال للتخلص من تدبير الطعام والمأوى. كانت تلك من مستلزمات الحياة. فطالما كانوا يجدون من يدبر لهم هذا الأمر. كان ذلك يعد كافياً. وعدم الشعور بالراحة لم يكن مبرراً للبحث عن أماكن جديدة للإقامة. كان على المرسلين أن ينهمكوا في أداء الرسالة إلى الحد الذي لا يتبقى فيه وقت لديهم للتخطيط لراحتهم الخاصة.

هناك شيء عملي يتعلق بهذا الأمر. إنه يوضح دراية يسوع الكاملة بالحياة، فمن ناحية، فهو لا يسلم بأن تلاميذه سوف ينهمكون في أداء مهمتهم السامية لدرجة تجعلهم غير قادرين على إطلاق العنان لرغباتهم وأهوائهم. فهو يشير إلى إغراء خاص سوف يتعرضون له. ومن ناحية أخرى، فهو يعرف احتياجات الجسد. إنه لا يتبنى فلسفة مبنية على التقشف تهمل المأوى والطعام وتقنع بأي نوع من

الإقامة المؤقتة. كان موقفه دائماً هكذا، كانت نصيحته عدم التركيز على الجانب الأرضي من حياتنا. فلتحسب حساباً لهذه الأشياء، ولتعمل أفضل الترتيبات التي يمكن أن تعملها دون أن تقضي جل وقتك فيها وكن قانعاً. فلتركز على الأشياء الكبرى والمهمة الملقاة عليك.

٣- طقوس الفشل

ذلك هو العنوان الشهير الذي قدمه د. أومان للممارسة التي يذكرها ربنا: «كل من لا يقبلكم ولا يسمع لكم فاخرجوا من هناك وانفضوا التراب الذي تحت أرجلكم شهادة عليهم» (مر٦:١١).

الشيء المهم أنه يتعين على الرسل أن يكونوا على استعداد لرفض رسالتهم وألا يتسرب اليأس إلى نفوسهم نتيجة لذلك. هناك حد لمسئوليتهم. عليهم أن يعرفوا أنهم مهما عملوا كل ما في وسعهم فلابد من وقوف بعض الأشخاص لهم بالمرصاد بدافع اللامبالاة والكراهية لدعوتهم. والطريقة الصحيحة لمواجهة ذلك الحقد البغيض تتلخص في جعل التحذير جاداً بقدر الإمكان. عليهم أن يعبروا عنه بالأفعال والأقوال ومدلول ذلك العمل: «لقد بذلنا كل جهدنا لأجلكم» وهو يعني أيضاً «دمكم على رؤوسكم».

هذه وصفة يجب استعمالها بحذر بالغ. وقد قدم ربنا الجانب الآخر حين قال: «كم مرة أردت أن أجمع أولادك... ولم تريدوا» يجب بذل جهود متكررة لكسب غير المبالين. ومع ذلك هناك تعليمات هنا بشأن الشهادة العصرية للمسيح، فنحن أيضاً نتعثر في أخطائنا. وليس لنا ضمير مستريح تجاههم. نحن غير متأكدين إن كانت الغلطة هي غلطتنا أم غلطة السامعين. علينا أن نحاول توضيح الموقف. ونقدم التحذير والدعوة أيضاً. والكلمة الوحيدة التي قد تيقظ بعض الناس هي أن نقول «لقد بذلت كل جهودي لأجل أن تخلص ولكنك رافض لها جميعاً سوف أتركك لضميرك».

لا تخافوا

تكررت هذه المناشدة كثيراً مثل قرار الترنيمة (مت ١٠:٢٦، ٢٨، ٣١) وعندما مضى التلاميذ قدماً لأداء رسالتهم وجدوا أنفسهم مكروهين لأجل المعلم. وفي خدمتهم المستقبلية كان عليهم مواجهة الموت بسبب إخلاصهم له. ولكن كان من الواجب عليهم ألا يخافوا من الذين يقتلون الجسد. كان المفروض عليهم أن يكونوا كخراف في وسط ذئاب، ولكن الأخطار التي تعرضوا لها لم تكن لتخلق فيهم الخوف. لقد كان معهم ذاك الذي قال إنه لن يتركهم. وكالمدبر لأمورهم قال «لا تهتموا» وكالحامي لهم قال: «لا تخافوا» (مت ١٠:١٦-١٦، عب ١٣:٦). ولمواجهة كل الأخطار، كانوا بحاجة ماسة إلى فضيلتين، وهما الحذر والأمانة، كان عليهم أن يكونوا «حكماء كالحيات وبسطاء كالحمام» (مت ١٠:١٦). هذان المخلوقان على طرفي نقيض - فالحية رمز للمكر، والحمامة تمثل البساطة، كان على التلاميذ أن يكونوا في الحال كالحيات في الحذر والحرص، وكالحمام في بساطة الهدف ونقاء القلب. سوف يجدون أنفسهم وسط الذئاب في المحاكم المدنية والدينية حيث يجب مقابلة الدهاء بدهاء مثله. ولكن كان عليهم مواجهة كل الاتهامات الحاقدة ببساطة الحمام. لم يكن عليهم أن يظهروا أي روح للتمرد بل يؤمنوا أن الله كان يتمم غرضه حتى من خلال تجاربهم، وحتى لو ماتوا لأجل الإيمان، فقد كان ينتظرهم أكليل الحياة (مت ١٠:٣٢، ٣٣، رؤ ٢:١٠).

في كتابه الرائع «تاريخي في الحروب» يصف مونتجمري القائد العام للقوات المسلحة اللورد نيلسون بطل معركة الطرف الأغر. ويقول إن التأثير الشهير المذهل لنيلسون على أتباعه ربما كان مسئولاً عن سجله الفريد في

تحقيق النجاح في المعركة بنفس القدر مثل أعماله الباهرة:

«في اللحظة التي كان يضع فيها قدمه على ظهر سفينة كانت تشع منه قوة مغناطيسية، فهناك مجموعة متنافرة من الرجال لا يجمع فيما بينهم هدف مشترك أصبحوا فريقاً من الأخوة، وكانت هذه القوة تشع فيما وراء سفينته - فكان يحس بها كل من كان موجوداً على كل سفينة من سفن الأساطيل التي كانت تأتمر بأمره وتحت قيادته».

هل كان هناك شيء كهذا يربط بين مجموعة من الرجال المتنافرين وبين المسيح كما كان يربطهم بعضهم ببعض؟ كان تأثير شخصيته على الرسل خلال الوقت الذي كانوا يرتحلون فيه سوياً، وكذلك بعد قيامته، هو الذي جعل منهم تلاميذ المسيح الذين عرفناهم. «إذ كان قد أحب خاصته الذين في العالم أحبهم إلى المنتهى» وقد استطاعوا أن يقولوا في صوت واحد «أنت تعلم كل شيء، أنت تعرف أني أحبك» لم يكن يربطهم به ولاء أعمي، فقد وجدوا فيه المسيا الذي ينتظروه، وقد أصبحوا هم خدامه من خلال المحبة.

كانت مطالبه واضحة المعالم وتتطلب الكثير من التضحية. ولكن التكريس دفع التلاميذ لاتباعه حتى نحو الاستشهاد لأجله، كانوا ملتحين ويلبسون النعال ويرتدون أردية رديئة الصنع وأغطية رأس منسدلة على الكتف كالتي يرتديها الرجال في مرتفعات الجليل اليوم، فهؤلاء الرجال الجليليون لم يكونوا مختلفين عن بقية رجال الجليل. كانوا بشراً عاديين زائلين شاركوا ربنا حياته اليومية عن كثب، وقد كان وجودهم كبشر أعزاء على قلبه مصدراً لعزاء قلبه وقد دفعه ذلك لأن يدعوهم أحباءه وليسوا عبيده».

لقد صعدت آلاف لا حصر لها سلم الصعود إلى السماء عن طريق الخطر والجهد والألم، ولكن مرتبة الشرف الأولى في الكنيسة يجب أن تخصص بالتأكيد لأولئك الرفاق المختارين من يسوع الذين أرسلهم ليكرزوا. ألا يبدو أن تكريس حياتهم للرب بإخلاص واعتمادهم عليه يقول لقلوبنا:

لا تهتموا

ألقوا بالهم جانباً، واعتمدوا على مرشدكم
فرحمته غير المحدودة سوف تقدم لكم الرجاء
ونفوسكم الواثقة سوف تثبت أن
المسيح حياتها والمسيح موضع حبها

لا تخافوا

لا تخوروا ولا تخافوا، فذراعاه قريبتان
فهو لا يتغير وأنت عزيز لديه
آمن فقط. وسوف ترى أن
المسيح هو الكل في الكل لك

كان يتحتم عليهم الاشتراك في خدمة إجراء المسيح للمعجزات

يمضي مرقس إلى القول إن يسوع اختار الاثنى عشر ليكرزوا وكذلك ليكون لهم سلطان على شفاء الأمراض وسلطان على الأرواح النجسة. لم يكن لديهم قوة في ذواتهم على إجراء المعجزات (مر ٦:٧). فقد قال يسوع «دفع إليّ كل سلطان»، ولكنه عندما أضاف قائلاً «اذهبوا» فقد ذهبوا ومعهم تفويض بالسلطان فقد كانت القدرة منطوية في الوصية «أمين هو الذي يدعوكم الذي سيفعل أيضاً». الذين أجروا المعجزات باسم المسيح لم يدّعوا أي قوة داخلية لديهم على الشفاء وإخراج الأرواح النجسة. كان الإيمان بقوته ضرورياً جداً لإجراء ما كان يعد مستحيلاً من المنظور البشري (مت ١٧:٢٠، ٢١:٢١، مر ٦:٧، يو ١٤:٢١، أع ٣:١٢،١٦، ٦:٨) فقد حصلوا على هبة بقوة جديدة. إن إخراج «الأرواح النجسة» هي المعجزة

المثالية بالنسبة لمرقس ، وهي المذكورة بالتفصيل هنا، إن قدرة المسيح على منح قوته يمكن أن يندرج تحت مسمى أعظم معجزاته «فكونه يستطيع، بكامل إرادته، أن يزود ١٢ رجلاً بهذه القوة، يعد أعظم من ناحية الدرجة، من أن يمارسها بنفسه».

لقد مضى اليوم الذي منحت فيه هذه القوة الخاصة، ولكن المبدأ يظل قائماً. إذ يستحيل على أي كارز أن يذهب للكرازة بقوته الخاصة. فما لم يعتمد على عون خاص، والذي لا يكون للمحاضر العادي أو المشتغل بالسياسة، أن يدعيه لنفسه، فإنه سوف يفشل حتماً. فعليه أن يعتمد فقط، على جاذبية المسيح والممنوحة له بالرغم أنه تلميذ ضعيف.

وتأكيد الأمر بشفاء المرضى جسدياً والمضطربين عقلياً قد أعلنه المسيح قبل صعوده (مر ١٦:١٧،١٨). ويدرج بولس موهبة الشفاء بين المواهب الروحية الممنوحة للكنيسة. وكما أن معجزات المسيح، شهدت للاهوته وأكدت ربوبيته، فقيام التلاميذ الأوائل بخدمة إجراء المعجزات أكدت إرساليتهم. وننصح القارىء بقراءة «كل معجزات الكتاب المقدس» للإلمام بمعالجة شاملة للمعجزات الرسولية. وهناك حقيقة لا ينبغي أن تغيب عن أذهاننا وهي أنه لا يوجد إنسان بشري يمكنه أن يجري المعجزات من تلقاء نفسه. فالقوة على إجراء أعمال الشفاء لا يمكن أن تمنح سوى بتفويض من الله. والبشر الذين يستخدمهم الله ما هم سوى قنوات للتدخل الإلهي (أع ٢:٤٣، ٢كو ١٢:١٢).

«فخرجوا وصاروا يكرزون أن يتوبوا. وأخرجوا شياطين كثيرة ودهنوا بزيت مرضى كثيرين فشفوهم» (مر ٦:١٢،١٣).

كانت الكرازة والشفاء يسيران جنباً إلى جنب كما يحدث في معظم الأعمال الرسولية الفعالة اليوم. كان مضمون رسالتهم يدور حول ضرورة التوبة إذا كان لابد للسامعين أن يكونوا شركاء عصر جديد. وليس هناك تقرير دقيق لنتيجة هذا الجزء من عملهم. ولكن يجدر بنا أن نتذكر موضوع كرازتهم، عندما نريد نحن أيضاً، أن نتطلع إلى عصر جديد. إن إعادة البناء من جديد تصبح عديمة الجدوى بدون التوبة. فإذا كان لابد من تقدم حقيقي، يلزم أن يكون هناك موقف جديد من الحياة، وإعادة تشكيل لنسيج المجتمع.

من المشوق أن نكتشف استعمال الرسل لطريقة طبية معتادة في ذلك العصر وهي المسحة بالزيت، عند إجراء معجزات الشفاء. والإشارة الوحيدة الأخرى لهذه الطريقة موجودة في (يع ٥:١٤). لقد تردد كثيراً من قبل البعض أن ذلك طقس قد أمر به ربنا لعلاج المرضى. ولكن لا يوجد أثر لذلك في العهد الجديد. وكلا الإشارتين يمكن تفسيرها بصورة أفضل بالنظر إلى الموضوع ببساطة كموافقة على القيام بأي وسيلة في متناول اليد لتقديم الشفاء الجسدي. وهذا لا يقلل من قيمة صلاة الإيمان. بل إنه يجب أن يجعلنا أحراراً للصلاة بإيمان أكثر. والقاعدة ثابتة دائماً «لنستنفذ الاحتمالات البشرية للموقف ثم نثق في الله فيما هو مستحيل بشرياً».

ونتيجة لهذه الممارسة فقد حدث تشجيع عظيم للرسل وامتداد للرسالة إلى آفاق أرحب. لقد تم تعلم الدرس الأول في هذه المهمة الشاقة للرسل واتخاذ الخطوة الأولى نحو القيام بعمل مستقل دون تعثر. فقد كان التلاميذ في طريقهم لأن يصبحوا رسلاً.

كان من المحتم عليهم أن يكملوا مسيرته

اختار المسيح الاثنى عشر لا ليكونوا فقط رفاقه طالما بقي على الأرض، بل أيضاً لإكمال عمله وتأثيره بعد صعوده. فبعد أن طلب منهم مساعدته في خدمته العامة، كان تفكير يسوع منصباً على خدمتهم المستقبلية بعد

رحيله عنهم. كان المسيح يعلم منذ سنواته الأولى أنه قد ولد ليموت كالفادي، وكان ظل الصليب منعكساً عليه دائماً. وهكذا، فإذ كان يدرك دائماً النهاية المريرة التي تنتظره، فقد اتخذ الإجراءات الضرورية لامتداد وانتشار العمل الذي جاء إلى العالم لإنجازه. يقول ج.د. جونز: «يسعى معظم الناس لتخليد تأثيرهم بوضع الحقيقة التي جاءوا لتعليمها في كتاب خاص». وهكذا فعل:

افلاطون إذ كتب «جمهوريته»

وأرسطو في «فلسفته»

ودانتي في قصيدته الشعرية «الكوميديا الإلهية» عن «المطهر، والجحيم، والفردوس»

وشكسبير في روايته عن «الملك لير وهملت»

وملتون في «فردوسه المفقود»

ولكن من ألهم البشر بأعظم التحف الأدبية العالمية، لم يكتب سطراً، سوى الكلمة المجهولة التي كتبها فوق الرمال، والتي سرعان ما محيت.

أي كتب كان يمكن أن يكتبها! كان يمكن أن يكون لكتبه تأثير رائع على عقول وحياة الناس على مر العصور، وظلت دليلاً حياً على فلسفته!

ولكن البشر، وليس الكتب، كانوا الوسائل المختارة لخدمة ممتدة بلا نهاية ولهذا السبب، فإنه على الرغم من موته، فهو يتكلم من خلال حياة وكتابات الرسل. إن أعظم هبة قدمها المسيح إلى العالم لم تكن فقط ما قاله، بل ما كانه وما عمله. المسيحية هي المسيح - وليست ديانة بل فادياً، ليست فكرة بل شخصاً. ولذلك فقد خلع كل ما كان يمثله في شخصه على الاثنى عشر الذين اختارهم، ومن خلالهم رأى ثمرة اختياره لهم وشبع. كان انتشار الإنجيل متوقفاً عليهم، وقد أصبحوا بداية الكنيسة المسيحية، التي مازالت تتوسع وتنتشر.

لقد سمع الرسل ما قاله يسوع «أبني كنيستي» وأكد بولس أن يعقوب وبطرس ويوحنا كانوا أعمدة هذا الصرح الروحي (غل ٢:٩)، وأن كل الرسل كانوا أيضاً أساساً لأهل بيت الله ويسوع المسيح نفسه حجر الزاوية (أف ٢:١٩-٢٢)، والموجز الذي يقوله أ.ب بروس مناسب جداً في هذا الصدد:

«سوف يكون الاثنا عشر من أعظم أفراد الحشد السماوي والذين وقعت قرعتهم مع ابن الإنسان، وكانوا رفاقه في رحلاته التبشيرية وتجاربه. من المرجح أنه سوف يكون في السماء كثيرون أعظم منهم في الحكمة والمعرفة وأشياء أخرى، ولكن أعظم البشر سوف يكونون على استعداد لأن يفسحوا لهم مكانة الشرف والصدارة كأول المؤمنين بيسوع، والأصدقاء الشخصيين لرجل الأوجاع، والأواني المختارة الذين حملوا اسمه إلى الأمم، وهم أول من فتحوا ملكوت السماء لكل الذين يؤمنون».

كان الرسول يوحنا على دراية بالمرتبة الرفيعة للاثنى عشر في الملكوت الأبدي، عندما قال، في وصفه لمدينة الله المقدسة أن «سور المدينة كان له اثنا عشر أساساً وعليها أسماء رسل الخروف الاثنى عشر» (رؤ ٢١:١٤). للدكتور س.د چوردن في «أحاديث هادئة عن الخدمة» وصف لافت للنظر عن يسوع وهو يمشي في الشوارع الذهبية يوماً ما، واضعاً ذراعه في ذراع الملاك جبرائيل، متحدثاً معه سراً، وبحماس. يقول جبرائيل:

- يا سيد، لقد مت نيابة عن العالم كله هناك، أليس كذلك؟

- «نعم»

- «لابد أنك عانيت كثيراً» قال جبرائيل ذلك بنظرة جادة وهو يرمق ذلك الوجه العظيم بما فيه من آثار لا تمحى.

- «نعم» جاءه الجواب مرة أخرى بصوت رائع،

وهادىء، ولكنه مليء بأعمق المشاعر.

– وهل يعرفون جميعاً كل ذلك؟

– كلا! بضع أفراد قلائل فقط في فلسطين يعلمون عن ذلك الأمر.

– حسناً، ياسيد، ما هي خطتك؟ ما الذي فعلته بشأن إخبار العالمين بأنك مت لأجلهم؟ ما هي خطتك؟

من المفروض أن يجيب السيد هكذا «طلبت من بطرس ويعقوب ويوحنا وأندراوس والمزيد منهم هناك، أن يجعلوا مهمة حياتهم أن يخبروا الآخرين، وطلبت من الآخرين أن يخبروا آخرين وآخرين غيرهم، حتى يسمع آخر إنسان في أقصى البقاع القصة ويشعر بقوتها المثيرة والتي تغير الحياة».

ويمضي جوردون إلى القول بأن جبرائيل يعرفنا هنا كبشر معرفة جيدة، فقد سبق له الاحتكاك أكثر من مرة بالأرض. إنه يعرف طبيعتنا. والمفروض أن يجيب، بنوع من المعارضة المشوبة بالتردد، كما لو كان يرى المصاعب في تنفيذ الخطة:

«نعم، ولكن افرض أن بطرس فشل. ولتفرض أنه بعد مدة وجيزة من الزمن توقف يوحنا عن إبلاغ الآخرين. ولنفرض أن أحفادهم، وخلفاءهم في القرن العشرين انشغلوا بأشياء – بعضها يستحق الانهماك، والبعض الآخر لا يستحق – لدرجة أنهم لم يبلغوا الآخرين – فماذا يحدث إذن؟»

اتسعت حدقتا عيني جبرائيل بخطورة فكرته، لأنه يفكر في – الألم ويفكر أيضاً في ما سوف يحدث للإنسان الذي لم يخبره أحد «ماذا يحدث إذن؟» يأتي ثانية ذلك الصوت العجيب، صوت يسوع الهادي.

«يا جبرائيل، لم أعد أي خطط بديلة أخرى – إني أعتمد عليهم».

صحيح أن ذلك جانب من حوار جوردون البارع الذي اشتهر به، ولكن الفكرة التي عبر عنها صحيحة. اختار يسوع الاثنى عشر ليخبروا الآخرين. لم تكن لديه خطة بديلة، وقد اعتمد عليهم لتنفيذ الهدف الذي اختارهم لأجله.

وعبقرية تلك الخطة في أنها لا يمكن أن تفشل. عندما ربح المعلم التلاميذ، خرجوا ليربحوا الآخرين بنفس المهارة الفائقة التي ربحهم بها. والأجيال المتعاقبة من التلاميذ، الملهمين بربح النفوس على المثال الرسولي الموجود في سفر أعمال الرسل، لم يفشلوا في القيام بدورهم لتنفيذ الخطة الإلهية بالوصول إلى الآخرين. والسؤال هو: «هل نحن – أنت وأنا – في العصر الذي نعيش فيه، نتبع خطته، أم نخذله؟»».

ثانياً: الإعداد المتميز للاثنى عشر

دوناً عن جميع الناس من كل عصر والذين تدربوا لخدمة الكلمة، لم يحصل أحد على إعداد متميز للقيام بأسمى عمل على الأرض مثل الاثنى عشر رسولاً الذين تخرجوا من مدرسة المسيح وقد كان أهم جزء في تعليمهم لإعدادهم لمهمتهم المستقبلية يكمن في الحقيقة البسيطة أنهم قضوا ثلاث سنوات مع شخص مثل يسوع، المعلم المرسل من الله (يو ٣:٢). قد نعتبر أن التعليم الذي لقنه لتلاميذه غير منظم ويصلح لمناسبات خاصة فقط، ولذلك فهو يختلف تماماً عن التعليم المنظم والمحكم في كليات اللاهوت. ولكن، كما سنرى، فإنه بمرور الوقت الذي كان فيه يسوع مع تلاميذه، فإن تعليماً في العديد من الموضوعات وعلى أعلى مستوى من الأهمية وذا قيمة لا تقدر قد أعطى من قبل المعلم الإلهي لتلاميذه.

١- المعلم الذي علمهم

في أيام المدرسة والكلية، تتأثر العقول الطيعة للتلاميذ تأثيراً بالغاً، بطريقة أو بأخرى، بمنزلة ومكانة معلميهم. فهناك معلمون، بسبب ما حباهم الله به من شخصية فريدة ومعرفة عميقة وتعليم غير عادي، لا يؤثرون فقط على تلاميذهم بما يعادل فعل السحر، ولكنهم يشكلون حياتهم في ما تبقى من أعمارهم.

وهكذا أعد الجماعة القليلة العدد من رجال الجليل والذين تجمعوا حوله، حيث قال لهم: «تعلموا مني». وفي أكاديمية الحب التي أنشأها أعد مختاريه للمهمة التي كلفهم للقيام بها طوال حياتهم بالطريقة التي عاشها، وبالأعمال التي عملها، وبالكلمات التي نطق بها. فإذا كان عليهم أن يذهبوا «ليتلمذوا جميع الأمم» (مت ٢٨:١٩)، فمن الضروري أن يكون لهم معلم لا مثيل له.

إن سجل الأعمال الرسولية للاثنى عشر يثبت كم كان تعليم قلوبهم وعقولهم ذا كفاءة رفيعة المستوى. وحين كانوا يسترجعون أيامهم في مدرسة المسيح، كانت صيحتهم المشتركة «من مثله معلماً؟» (أي ٣٦:٢٢). كانوا قد اختبروا من مستويات مختلفة، وكانوا يمتهنون حرفاً مختلفة. لم يكن هناك اثنان متشابهان. كان كل واحد يختلف عن الآخر في المشارب، والأذواق، والأهواء، والعقلية، والشخصية، والنظرة العامة للأمور. ومع ذلك فقد جذب المعلم كل واحد من الاثنى عشر نحو شركة معه، وبعد أن تركهم بعد ثلاث سنوات، ظلوا معاً. حين كانوا معه، كان كل واحد يتلقى تعليماً فردياً وتدريباً يلائمه للقيام بعمله.

كان كل واحد منهم بالطبع بحاجة إلى تدريب وتهذيب يلائمه، ولكن المعلم، إذ كان يعرف قدرات وخصائص كل دارس، فقد وائم تعليمه وفقاً لها. كان لكل واحد منهم نقاط ضعفه وعجزه، وتكشف الأناجيل كيف نّوع يسوع من طريقته في التعامل معهم ليساعد كل فرد. بالنسبة للغرباء كان يبدو مستحيلاً أن يعلّم يسوع نوعية الأشخاص الذين اختارهم عن الطبيعة الروحية لملكوته ثم يعدهم ليكونوا كارزين لذلك الملكوت، ولكن كم كان تقدمهم رائعاً من خلال الجلوس عند قدميه!

لم يكن إعداد الاثنى عشر عملاً سهلاً، فقد فشل أكثرهم ذكاءً في فهم مغزى رسالة المسيح حتى ما بعد قيامته. كانوا بطيئي الفهم حتي أنهم لم يصدقوا كل ما قاله الأنبياء عنه. إن أي معلم جيد يشعر بالإحباط حين يفشل تلاميذه في فهم الدروس التي يعلمها، حتى أن

يسوع قال لأولئك الذين حاول أن يعدهم: «لست تعلم أنت الآن ما أنا أصنع ولكنك ستفهم فيما بعد» (يو ١٣:٧) واضطر المسيح لتوبيخ خاصته بسبب عدم إيمانهم وقساوة قلوبهم (مر ١٦:١٤). «هل أنتم أيضاً حتى الآن غير فاهمين» (مت ١٥:١٦)، إن عبارة مثل «وأما هم فلم يفهموا» (مر ٩:٣٢) توحي بأن آراءهم المسبقة قد شوشت على فهمهم الصحيح للتعليم الأساسي العظيم عن الكفارة (لو ٢٤:٨، ٢٥، ٣٤:١٨، ٢٤:١١).

في سير حياة الناس التقليدية يتم تسليط الضوء عادة على نقاط القوة ويتم حذف نقاط الضعف أو المرور عليها مر الكرام، ولكن فيما يتعلق بسير حياة البشر في الكتاب المقدس، فإنه يحرص على سرد قصة الحياة بحذافيرها، ولذا فإن نقائص الرسل - مع أنهم كانوا رسلاً - لا يتم تجاهلها، بل يسجل أخطاءهم ونقاط ضعفهم، كان يسوع الذي يستطيع أن يقرأهم كالكتاب المفتوح، يعرفهم بطريقة أفضل مما كانوا يعرفون هم أنفسهم. كتب ج.ج جرينهوف يقول: «كان يرى نقاط ضعفهم المستترة وعناصر القوة الكامنة. كان هناك الكثير من القش مع الحبوب القليلة من القمح مما كان يستدعي الكثير من التذرية. ولكن على قدر ثقل المهمة كانت هناك بشائر النجاح، وفي الوقت المحدد كان لحصد الثمار الوفيرة. آمن بالرجال الذين اختارهم، والأفضل من ذلك أنه كانت لديه ثقة مطلقة في قدرته الخاصة على أن يصنع منهم ما يشاء».

ومع أنهم أعلنوا عن رغبتهم في الموت من أجل معلمهم العظيم، إلا أنهم قد اتهموا بالجبن لتقاعسهم عن الوقوف إلى جانبه في آلامه، كما يشير إلى ذلك إيتون ستانارد في البيتين التاليين:

«مريم.... من استطاعت أن تواجه الأخطار، حين هرب الرسل كانت آخر من تركه عند صليبه وأول من ذهب إليه عند قبره».

قال لهم المسيح إنهم أفضل من عصافير كثيرة، وبما أنهم استودعوا حياتهم بين يديه، كان عليهم أن يمضوا قدماً بلا خوف، ولكنهم كانوا يعانون من الشك، إن الكبرياء والحقد قريبان كل منهما من الآخر، ولذا تعرضت المشاحنات الباطلة في من يكون له النصيب الأكبر من ملكوت المسيح لأشد أنواع التوبيخ في حديث المسيح لتلاميذه عن التواضع (مت ١٨:١-١٤)، فلكي تصبح عظيماً في ملكوته، يلزم أن تصبح مثل طفل صغير.

ومع أنه يبدو أنه من باب عدم الامتنان أن نفحص السجلات بحثاً عن أخطاء وعثرات الاثنى عشر، ونعترف صراحة ببعض نقائص شخصياتهم وسلوكهم، إلا أن مثل هذه الممارسة المؤلمة مطلوبة حتى كوقاية لأنفسنا وعندما نتأمل في الرسل، فردياً، نأمل في جذب الانتباه للنقائص التي كانت سمة مميزة لكل واحد فيهم وإذا نتأمل فيهم كمجموعة - نجد على الأقل خمسة نقائص فيهم ككل.

عدم الفهم الروحي

كم كان محزناً ومحبطاً للمسيح عندما فشل أولئك الذين اختارهم في فهم مغزى أمثاله وأفكاره! كم كانوا عاجزين عن إدراك أهمية المسيح نفسه، أو غرضه، أو طريقته في العمل! فكر في كيفية محاولته أن يشرح حقيقة آلامه القادمة وموته، وحتى التفاصيل الدقيقة لتسليمه والقبض عليه من قبل الجنود، ومحاكمته، وإدانته، وأعدائه، وموته وقيامته وصعوده. ولكن أقرب المقربين إليه لم يستطيعوا أن يدركوا حقيقة ما قال. كانت آراؤهم اليهودية المسبقة وتوقعاتهم تشكل غمامة على أعينهم حتى أنهم لم يستطيعوا أن يروا الحقيقة.

عيب الغيرة المتبادلة

هذه الرزيلة، القاسية كالموت، كانت تظهر بين آن وآخر

مراراً وتكراراً فعندما كان يبحث اثنان من الجماعة يبحثان عن المجد المستقبلي، كان العشرة الآخرون يمتلأون بالسخط والاستياء. وحتى عندما اقترب موعد الموت المرير ليسوع، كانوا «يتحاجون بعضهم مع بعض في من هو أعظم» كم كانت روح الانقسام والطائفية التي بدت في وقت مبكر من ارتباطهم بيسوع، وظهرت بشكلها الكئيب في التناحر من أجل المنصب، كم كانت محزنة لقلب ذاك الذي جاء، لا ليُخدَم، بل ليَخدُم، وليموت كمجرم على خشبة العار.

نقص الإيمان

يبدو كما لو كانت تلك من أبرز العيوب المؤلمة، لأنهم كثيراً ما اتهموا بها.

«كيف لا إيمان لكم؟» (مر ٤٠:٤)

«يا قليل الإيمان!» (مر ٣١:١٤)

«قلت لتلاميذك أن يخرجوه فلم يقدروا» (مر ١٨:٩)

«أيها الجيل غير المؤمن... إلى متى أحتملكم؟ قدموه إليّ» (مر ١٩:٩)

الفرار في ساعة الشدة

هناك عبارتان متناقضتان، عندما ننظر إليهما معاً، فإنهما تلقيان الضوء على عيب هروب الرسل وتخليهم عن المسيح في الساعات الحالكة السواد عندما كان في أشد الحاجة لصحبتهم. في بداية تلمذتهم نقرأ أنهم «تركوا كل شيء وتبعوه» (لو ١١:٥) كم كانت تلك تضحية نبيلة! ولكن الآن عندما يُلقى القبض على يسوع في بستان جثسيماني ويؤخذ أسيراً، نجد القول «فتركه الجميع وهربوا» (مر ٥٠:١٤) نفس الرجال في كلتا الحالتين! تذكر أن هؤلاء كانوا أقرب أصدقائه، الذين كان يعتمد عليهم، والذين ائتمنهم على أسراره، اثنان منهما كانا في الطريق إلى عمواس وقالا «كنا نرجو أنه هو» ولكن الثقة ولت هاربة عندما رأوا السيوف والعصي موجهة ضده. اختفت الثقة وضاع الرجاء أمام منظر الموت.

العجز في مواجهة التحدي

الضعف والعجز اللذان أظهروهما في مواجهة العمل المستقبلي المجيد بإعلان حقيقة المسيح للجميع، والذي بذل المسيح كل جهده لإعدادهم له، نراهما واضحين أيضاً. كما يعبر عن ذلك الدكتور إلدر كمنج فيقول:

«انظر إلى التلاميذ كما كانوا حتى يوم الصلب، بل وانظر إليهم حتى بعد ذلك، حتى اللقاء الذي تم عند بحر الجليل، عندما ظهر يسوع على الشاطيء في الصباح الباكر، وقل «أي أمل يمكن أن يرتجي من هؤلاء الاثنى عشر رجلاً؟ هل يرجى منهم أن يعلنوا عن المسيح كمخلص لجيمع الأمم؟ هل يرجى منهم التغلب على الأعداء الذين كانوا لهم بالمرصاد، كالإمبراطورية الرومانية الوثنية، بكل ما تمثله من قوة وجبروت؟ هؤلاء الناس الذين كانوا قليلي المعرفة، والذين لم يستطيعوا أن يفهموا ما كان يحدث، والذين كانوا مهتمين بمكانتهم ومركزهم، الخائفين الذين لم يكن بمقدورهم مواجهة أي صعوبة، الرجال الذين هربوا من عشرين جندياً، الرجال الذين لم يكن بمقدورهم النطق بكلمة واحدة علانية: وبالاختصار، الرسل كما نعرفهم، من بطرس إلى يهوذا – أي أمل كان يرجى منهم فيما يتعلق ببشارة الإنجيل المبارك للعالم كله؟

ولكن، كما سنرى حالاً، فقد حدثت المعجزة، وتحولت الأداة الضعيفة في يد البناء العظيم نفسه إلى سلاح قوي لهدم حصون. فبروحه، أخذ المزدرى وغير الموجود، ليهدم الأشياء الموجودة.

ولكن منذ اللحظة التي دعا فيها المسيح الاثنى عشر حين كانوا خامة غير مصقولة ولا رجاء منها، وأمرهم أن يتبعوه ويتعلموا منه، وأخذ يثابر ويصبر على تلاميذه كي

يتعلموا، حتى استطاع كالنحات العظيم أن يصنع ملاكاً من قطعة الرخام باستخدام إزميله. لقد كرس نفسه لكي يغير ويعيد تشكيل هؤلاء الرجال، وباستثناء يهوذا، لم يفشل في تحقيق هدفه (يو ١٧:١٢). وكمعلم فريد، بدأ يصور نفسه في عقولهم وحياتهم، وينتصر على نقائصهم، وتابع هذا التصميم دون ريب أو شك، وكسب الجولة، وهو يقول لهم «أنتم ملح الأرض، أنتم نور العالم».

بعد أن خضع تلاميذه المختارون تماماً لروحه الذي أخذ يشكلهم وبعد أن نجحوا في مدرسته، راح هؤلاء التلاميذ يكرزون بإنجيله ويعلمونه بقوة عظيمة. ومن إحدى المعجزات الرائعة ليسوع، الطريقة التي غير بها ابن الرعد وحوله إلى رسول المحبة، فهو لم يصنع هنا معجزة واحدة، بل جعل الحياة تدب في أوصال الرسل في الجوانب الفكرية الأخلاقية والروحية، وكل ذلك أدى إلى تفرد وأصالة اختياره وتعليمه للاثنى عشر.

٢- الدروس التي تعلموها

لكي نفهم التعليم الخاص الذي تلقاه الاثنا عشر، يلزم أن نتفحص خلفياتهم وبيئاتهم السابقة. كان حكام وشيوخ وأهل أورشليم يتحدثون عن بطرس ويوحنا باعتبارهما، عديما العلم وعاميان (أع ٤:١٣) ولا يصح أن نستنتج من هذه الملاحظة أنهما كانا جاهلين بكل معنى كلمة الجهل، فإن لفظ «عديما العلم» تعني أنهما لم يكونا على دراية بمدرسة التفكير الربانية، أما كلمة عاميان والتي وردت «جاهلان»(*) فهي تعني أساساً الشخص العادي في مقابل موظف الحكومة، ولذلك فهو الشخص الذي بلا معرفة مهنية، وغير المدرب، وغير المتعلم - أي العلماني مقابل الموظف المدرب المتدين.

ولذا ففي الأغلب، كان الاثنا عشر صيادي سمك بسطاء وغير حاصلين على مقدار من التعليم وغير مهذبين، وليس لديهم سوى دراية قليلة بالحياة فيما وراء حدود إقليم صغير في فلسطين، تحت سيطرة روما.

ومع ذلك فإنهم كيهود، لم يكونوا بلا معلومات عامة. لأنه مما نقرأه عن الحياة اليهودية في وقتهم، فقد كان في كل أنحاء البلاد نظام جيد من المدارس المحلية التي كان يمكنهم الذهاب إليها. وقد كان كل مجمع تقريباً كمدرسة للأطفال حيث كان معلم المجمع يقوم بالتدريس له. كان كل طفل يهودي يتعلم أولاً في البيت كتيموثاوس، الذي كان يعرف الكتب المقدسة منذ الطفولية (٢تي ٣:١٥). وفي سن السادسة كان كل طفل يذهب إلى المدرسة، ويخبرنا يوسيفوس، المؤرخ اليهودي العظيم أنه لم يكن يوجد تقريباً طفل غير متعلم. كانت الكتب المقدسة هي المادة الرئيسية التي تدرس ولهذا السبب استطاع التلاميذ فهم إشارات المعلم لتاريخ العهد القديم. لم يكن لديهم عهد جديد - بل كان لهم امتياز كتابته. ولذا فعلى الرغم من كونهم غير متعلمين في نواح أخرى، إلا أنهم لم يكونوا جاهلين بالمعنى الذي نفهم به الكلمة. وعند سماعهم لدعوة المسيح. قاموا بتضحية عظيمة فتركوا بيوتهم وعائلاتهم وأصدقائهم وعملهم وتخلوا عن مصادر دخلهم ليتعلموا في الكلية المتنقلة للمعلم العظيم. وهناك ثلاث كلمات تجعلنا نعرف ما جعل تعليمهم أفضل تعليم يمكن للعالم أن يقدمه «كانوا مع يسوع» (أع ٤:١٣).

كم كانت الدروس التي تعلموها من الحياة ومن مثال وتعليم يسوع هامة! وكم كانت حكمته التي لا مثيل لها مقوية لإيمانهم به كالمسيا الذي قرأوا عنه في كتبهم المقدسة القديمة! وكم تقوّى إيمانهم بالمعجزات التي أجراها! وإذ كانوا يتبعونه كل يوم، ويستمعون لأحاديثه الرائعة وأمثاله، ويرونه وهو يظهر قوته كابن الله عندما

* وفقاً للنص بحسب الطبعات باللغة الإنجليزية (المترجم)

شفى المرضى وأخرج الشياطين وأقام الموتى، وإذ عاشوا معه كعائلة واستطاعوا أن يوجهوا إليه الأسئلة التي أرادوا أن يوجهوها له، فإن كل ذلك قد أحدث إضافة جديدة لاستعدادهم الروحي والأخلاقي للخدمات العظيمة التي تعين عليهم أن يقدموها.

تأمل في كيفية تشكيل شخصياتهم عن طريق تأثرهم بشخصية يسوع! فقد اكتشفوا أن كل كلماته كانت حكيمة وصادقة، وأنه لم يكن يغضب أبداً سوى عندما يكون غضبه محقاً ضد الخطية والمخادعة والاحتيال، وأنه ما سعى أبداً للاستمتاع بملذات العالم، وأنه ما كان يضن أن يبذل الجهد والتعب عندما كان المحتاجون يطلبون عونه، وأنه ما سعي أبداً للراحة وحماية نفسه، ولكنه كان دائماً يصنع خيراً، وأنه ما أرتكب خطية ذات مرة أبداً، وأنه كان بالحقيقة المسيح، ابن الله الحي. كيف يمكنهم أن يكونوا مع رجل مثله دون أن يتعلموا التشبه به إلى درجة ما؟ كان ذلك بحق أهم شيء في تعليمهم. كان ذلك امتيازهم الخاص، أن يسمعوا كلماته ويروا أفعاله أثناء فترة صداقتهم له.

وكنتيجة لتعليم المعلم الشخصي الصبور، والقوة والاستنارة والتقديس الذي حصلوا عليه من الروح القدس، أصبح الرسل «مستنرين ذهنياً»، ولديهم سماحة كافية تجعلهم يحتضنون كل الجنس البشري، ولديهم ضمائر حساسة تجاه كل واجب. ومع ذلك فقد كانوا في حل من المبادىء الخرافية، متحررين من قيود التقاليد والعادات، ووصايا الناس، لهم طباع مطهرة من الكبرياء، والعناد، ونفاذ الصبر، والانفعالات الغاضبة، وحب الانتقام والحقد.

لقد عرفوا المسيح ببطء ولكنهم عرفوه، وأصبحوا تحت قيادته مؤسسين لمجتمع جديد، كنيسة الله الحي.

ومن بين جوانب الحق التي تلقوا فيها دروساً من معلمهم ما يأتي :

طبيعة ملكوت الله
امتياز وقوة الصلاة
نتائج الحرية الدينية
قوة شخصه وإعلانه عن نفسه
تعليم موته وقيامته
حقيقة صعوده ومجده
إرساله للروح المعزي
المجيء الثاني للمسيح
ضرورة وفضيلة بذل النفس
أهمية الاستقامة في الحياة الخاصة والدينية
جاذبية التواضع والخصال الطيبة

إن دراسة سفر أعمال الرسل والرسائل وسفر الرؤيا تظهر كيف أن الدروس السابقة لم تفت على الرسل، لأن الروح القدس قد أخذ هذه الحقائق السامية وفتح أذهانهم على المغزى الروحي للأمور المتعلقة بالمسيح، وألهمهم بتسجيل إعلانات الروح لاستنارتنا وتهذيبنا وتشجيعنا.

٣- البركات التي اختبروها

ما حدث في يوم الخمسين شكل تغييراً ديناميكياً في حياة الرسل! لم يعودوا أبداً كما كانوا بعده. فعن طريق انسكاب الروح القدس تحولوا من مجموعة من الرجال الجبناء المحبطين والخائفين إلى فريق من الرجال الشجعان والجسورين المملوئين بالإيمان والقوة. وإذا لم يعد المسيح معهم شخصياً، كان عليهم أن يختبروا عمله فيهم (في ١٣:٢). لذلك فقد انتظروا «موعد الآب» وأهم ما حدث في يوم الخمسين كان الحضور الدائم لله الروح القدس كالعامل فيهم ومن خلالهم. عندما قدموا دليلاً عن كل ما رأوه وسمعوه عن المسيح وبضرورة الشهادة له. كان عليهم أن يختبروا ملء روحه الذي أتى إليهم واستقر فوقهم (يو ٨:١٦). فالاختبار الحقيقي لا يتوقف على حكمتهم أو

بلاغتهم أو شجاعتهم، على امتلائهم بالروح من عدمه. وكونهم كانوا مملوئين بالروح ثابت من حقيقة أن سفر اعمال الرسل مليء بسجلات الانتصارات الأولى للمسيحية - انتصارات العهد الموصوف بأنه عهد خدمة الروح (٢كو ٣:٨).

بعد نزول الروح في ذلك اليوم التاريخي، لم يعد الرجاء في الملكوت الزمني يخدع الرسل (لو ٢٤:٥١-٥٣، أع ١:٦). فقد مضوا ليؤسسوا الملكوت الروحي الذي ولد في يوم الخمسين، وبعد ذلك حملوا ثمار الروح.

وترى هذه الثمار في:

تحررهم من الخوف من الناس أع ٢:١٤

وحدتهم في الروح أع ٤:٣٢

اجتهادهم في نشر الإنجيل أع ٨:٥

سخائهم المسيحي أع ٢:٤٥، ٤:٣٤

روح الصلاة والشركة أع ٢:٤٢

محبتهم لأوامر الله أع ٣:١

فرحهم وسط شدة الآلام أع ٧:٥٥، ١٦:٢٥

في كتابي الثاني في سلسلتي عن «الرجل الذي غير وجه العالم» نبرت على الكنوز الثمينة التي تركها المسيح لأتباعه. هناك شرح كامل لهذه الكنوز، التي حظى قديسو العصور المتتالية بنصيب منها، وهي كالتالي:

كنز حضوره الدائم،

كنز أفكاره ومبادئه،

كنز قوته،

كنز سلامه،

كنز غلبته،

إن لوقا، الكاتب الذي قدم لنا سفر أعمال الرسل، يخبرنا عن رسالة سابقة كان قد أرسلها لصديقه ثاوفيليس بشأن «جميع ما ابتدأ يسوع يفعله ويعلم به» (لو ١:٣، أع ١:١). والقصة المثيرة التي يمضي في سردها في سفر أعمال الرسل هي استمرار لكل ما ابتدأ يسوع يفعله ويعلم به، وهي الخدمة، التي ابتدأت في أورشليم، ثم امتدت إلى اليهودية والسامرة، ووصلت إلى أقاصي الأرض - ومازلت! يمكن ملاحظة جانبين من جوانب بركات الخدمة الرسولية لانتشار إنجيل المسيح.

كان لهم الوعد بالقوة

بعد الانتهاء من دراسة كتابية مستفيضة امتدت لمدة أربعين يوماً قادها المعلم المقام نفسه عن نوع الإنجيل الذي كان على الرسل أن يكرزوا به (لو ٢٤:٢٧، ٤٤، أع ١:٢،٣)، أعطى لهم الوعد بأنه بعد الصعود سوف يلبسون قوة من الأعالي (لو ٢٤:٤٩، أع ١:٤،٥،٨). وتبعاً لذلك انتظروا الروح القدس الموعود به في أورشليم، وهم يقضون الوقت في الصلاة والدعاء مما خلق جواً روحانياً في قلوبهم لاستقبال الآتي. هناك سمتان على الأقل يجب أن نتعرف عليهما هنا:

١- لم يكن مجيء الروح متوقفاً على انتظار وصلاة الـ ١٢٠ المجتمعين في العلية فكل من الآب والابن قد وعدا بانسكاب الروح، وفي اللحظة المعينة جاء إلى أولئك الذين كانوا مجتمعين معاً بنفس واحدة في مكان واحد (أع ٢:١) وهو مازال باقياً في العالم منذ إرساله.

لقد جاء! ونحن نصلي كثيراً بكل حماس قائلين: «يارب، أرسل روحك!» والرب يفهم اشتياقنا للنهضة الروحية. ولكن الروح القدس قد أرسل إلى العالم منذ ما يزيد على ٢٠٠٠ سنة، وهو يشتاق أن يعلن عن قوته مرة أخرى في ومن خلال أولئك الذين تجددوا بواسطته. جميع القديسين لديهم الروح القدس: «كل من ليس له روح المسيح، فذلك ليس له» فنحن لدينا الروح إذن والسؤال الآن: هل هو يمتلكنا؟ في داخل قلوبنا يوجد الروح الموعود

به كأنهار ماء حي، ولكن هل هو يفيض بداخلنا ثم يخرج منا ليحيي البرية القاحلة من حولنا؟ (يو ٧:٣٧-٣٩). وكنتيجة ليوم الخمسين أصبح الرسل قنوات البركة لليهود والأمم على السواء.

٢- الفكرة الأخرى هي أننا لا يجب أبداً أن نفرق القوة الموعود بها عن صاحب الوعد نفسه. القوة التي من المفروض أن ينالها الرسل ليست «شيئاً» بل «شخصاً». «ستنالون قوة متى حل الروح القدس عليكم». فالقوة ، إذن، هي الشخص، أو الإعلان عن حضوره، إن طلب «القوة» كما لو كانت نوعاً من الطاقة التي يمكن أن نمتلكها بمقادير متفاوتة، هو طلب يجب استنكاره. فأي خدمة معجزية ماهي إلا روح الله معلناً عن نفسه من خلال القنوات التي يمكن أن يستخدمها . «أنا... بروح الله» (مت ١٢:٢٨، أع ٣:١٢). إن مجرد ظل بطرس ليس لديه القوة على الشفاء، وأيدي الرسل وحضورهم ليس سوى وسيلة إعلان الروح عن القوة على المرض والأرواح النجسة (أع٥:١٢-١٦).

كان اختبار يوم الخمسين من نصيبهم

اليوم المختار لإتمام الوعد الإلهي كان واحداً من الأعياد السنوية المنصوص عليها في ناموس موسى (لا ٢٣:١٥،١٦). ويوم الخمسين، ككلمة، تعني «الخمسين» أي عيد اليوم الخمسين بعد السادس عشر من شهر أبريل. وعيد الأسابيع هذا (خر ٣٤:٢٢، تث ١٦:١٠)، المحتفل به في نهاية السبعة أسابيع، كان يأتي عند إتمام الحصاد، ولذلك كان يدعي أحياناً «عيد الحصاد» (خر ٢٣:١٦). وكان يوم الباكورة (عد ٢٨:٢٦) مرتبطاً بالطقس الشهير الخاص بالرغيفين (لا ٢٣:١٧). يؤكد التقليد اليهودي أن يوم الخمسين كان يقابل نفس اليوم الذي أعطى فيه الناموس لموسى على جبل سيناء. فإذا كان عيد الفصح يجد إتماماً له في موت وقيامة يسوع، فيوم الخمسين يرمز لبداية حصاده للنفوس، فمنذ بداية ذلك اليوم الذي لا ينسى، فإنه يرى من تعب يديه ويشبع.

وفجأة، جاء الروح القدس من السماء مصحوباً بأصوات وألسنة استوعبتها فوراً آذان وأعين أولئك المجتمعين. ويشار إلى هذا الانسكاب القوي الذي حل على الرسل وبقية التلاميذ بأنه «معمودية» (أع ١:٥) ليس معمودية الروح القدس، وهي عبارة لا يستعملها الكتاب المقدس أبداً، بل المعمودية بالروح، والمسيح هو الذي يعمد بالروح (يو ١:٣٣) فالروح، إذن، ليس هو الذي يعمد، بل الوسط الذي عمد فيه التلاميذ أو غمروا فيه (تماماً كما اعتمد بنو إسرائيل لموسى في السحابة وفي البحر) (١كو ١٠:٢).

ياله من تغيير قوي أحدثه يوم الخمسين! ويالها من مناظر رائعة شوهدت في ذلك اليوم التاريخي! اختفى الجبن، وظهرت الجرأة المقدسة للرسل التي جعلت أولئك الذين حولهم يتعجبون من جسارتهم. ومنذ يوم الخمسين فصاعداً، كان حضور وسيادة الروح واضحين في كل أرجاء أعمال الرسل. وإذا كان الرسل يحصلون على القوة بصفة دائمة من الروح، فقد أصبحوا ناجحين نجاحاً ملحوظاً في الاستجابة للدعوة الإلهية للشهادة (١١:١٢). لقد جعلهم الروح أغصاناً مثمرة في الكرمة.

٤- روعة خدمتهم

دفع الروح الرسل وحملهم على بذر بذار الكلمة في كل الأماكن. فقد أصبحوا مستعدين للكرازة في وقت مناسب وغير مناسب. ما تعثروا أو تلعثموا في شهادتهم الشجاعة. حذروا أعداء الصليب نهاراً وليلاً بدموع وخلصت جماهير غفيرة. إن القصة الدرامية لسفر الأعمال يمكن أن تُروى في ثلاثة سطور مترابطة.

الرب يسوع صاعداً إلى السماء،

والروح القدس نازلاً،

والرسل في طريقهم للكرازة - وعندما خرجوا باسم ربهم المقام ومحملين بقوة الروح، حدثت أشياء عظيمة وقوية. كانوا مؤثرين لأنهم:

حصلوا على دليل دائم

في كل الأزمنة وفي كل الأماكن كانوا نشطين، يغرسون الكنيسة في كل مكان، الكنيسة التي اشتراها يسوع بدمه، من اليهود والأمم على السواء. ابتدأ الرسل من أورشليم، وضاعفوا مراكز العبادة المسيحية والشهادة حتى تم الوصول إلى روما الوثنية ذاتها وبدأت تشعر بتأثير خدمتهم المتلئة بالروح.

على الرغم أن سفر الشهادة للمسيح هذا ينقسم إلى جزئين كل جزء منه يدور حول شخصية محورية.

بطرس، الرسول إلى اليهود ١-١٢، وبولس، الرسول إلى الأمم ١٣-٢٨، إلا أنه كان هناك آخرون مثل لوقا، ويعقوب، وفيلبس، وبرنابا، ومرقس، وتيموثاوس، لعبوا دوراً هاماً في اتساع رقعة الكنيسة المتنامية على الدوام. إن انتشار الإيمان المسيحي بسرعة والذي كان صفة مميزة للقرن الأول، لا يمكن تفسيره سوى بفضل جهود الكثيرين الغيورين الذين رفعوا راية الصليب. وسواء كانت الشهادة أمام الملوك، أو الحكام، في الأماكن العامة أو الصحاري، كل ذلك لم يكن بذي أهمية للرسل الذين اتسموا بالجسارة في شهادتهم حتي لو تعرضوا لخطر الموت. كان بولس سفيراً للمسيح برغم القيود. انتشرت المسيحية كامتداد النار في الهشيم لأن كل مسيحي كان شاهداً، يشهد لنعمة الله (أع ٢٠:١٧-٢٤) لم تكن النتائج تشكل أهمية لديهم. فلأجل من مات عنهم كانوا على استعداد لأن يبذلوا حياتهم (٢٦:١٥). يقول التقليد، كما سنرى إن جميع الرسل قد استشهدوا - فيما عدا يوحنا - ولكن بالحسرة، فاليوم يوم بشارة ونحن ساكتون. إن جماهير غفيرة تندفع بقوة نحو الجحيم. ومع ذلك فنحن متهمون بصمت آثم.

ابحث في سفر أعمال الرسل واجمع الإشارات الدالة على الثمن الباهظ الذي دفعه أولئك التلاميذ الأوائل لأجل شهادتهم الجريئة. كانوا فعالين لأنهم استهانوا بالاضطهاد. إن حمى الاضطهاد لم تتوقف بعد تغيير بولس في الطريق إلى دمشق. فالرسول نفسه قد كان مبعث الشرارة الرئيسية للاضطهاد الأول للكنيسة. وحيث أنه كان ممثلاً للسنهدريم، فقد شرع يقضي على الدعوة الجديدة إلى حد قتل أفرادها، ولكن الرب جعل المتمرد كاهناً وملكاً (أع ٩)، ثم سكب تجديد بولس الرائع وشهادته القوية، بعد ذلك، الوقود على نار الاضطهاد. ولهذا السبب فإن سفر أعمال الرسل مليء بأخبار السجن والاستشهاد. ولكن جميع الذين تألموا أظهروا احتمالاً غير عادي في بوتقة الألم التي وعدهم بها المعلم (مت ٢٠:٢٢-٢٣).

كانت كرازتهم ايجابية

كان الوعد وامتلاك الهبة الإلهية من أجل إعلان إنجيل الله. إن قوة الروح لن تستعلن مالم يتم الكرازة بالكلمة التي أوحى بها. فالروح لا يسير في موكب انتصاره إلا في عربته الملوكية الخاصة. والمبشرون الذين يشكون في معتقداتهم ويؤمنون بشكوكهم لا تكون لديهم القوة لكي يقلبوا العالم رأساً على عقب. وبالنسبة الرسل، لم يكن هناك شيء يقال له «ربما» أو «يجوز» ولكن كان هناك إعلان سلطاني، «هكذا قال الرب»، فاستطاعوا أن يكرزوا بكلمة الله بكل جسارة، ويضمنوا النتائج لأنهم آمنوا أنها كلمة الله، الموحي بها من الله.

والحقائق الأساسية التي بشروا بها كانت تتضمن

حياة وموت وقيامة يسوع المسيح - وهي الحقائق التي يعلنها الروح القدس دائماً (أع ٢:٢٣، ٢٤، ٣٠، ٣١، ٣٦، ٣٢،٥:٨ إلخ). وبعد أن شهدوا موت المسيح وقيامته (أع ١٥:٣)، استطاعوا أن يكرزوا بهذه الحقائق بقناعة تامة (أع ٤:٢٠،٢٣،١٠:٣٩)، حتى وإن رفضت هذه الرسالة من قبل القادة الدينيين (أع ٤:١،٢). وحيثما حل الرسل، كانوا يكرزون بهذه الكلمة (أع ٨:٤، ١٣:٤٩). إن المئات من مبشري هذه الأيام لا ينجحون ببساطة لأن رسالتهم ليست هي الرسالة الحية للكنيسة الأولى. إن لديهم تحفظات بشأن الغرض من موت المسيح وتساورهم الشكوك بشأن حقيقة قيامته بالجسد، وهم لا يستطيعون أن يشتركوا مع بولس في الإنجيل الوحيد الذي يجب أن يبشر به «المسيح مات من أجل خطايانا حسب الكتب وأنه دفن وأنه قام في اليوم الثالث حسب الكتب» (١كو ١٥:٣،٤). إن الكرازة بالصليب مازالت هي قوة الله للخلاص في اختبار الذين يؤمنون. والرسل لم يكرزوا فقط بالمسيح مصلوباً . لقد اختبروا حياة الصليب عن الذات، ولذلك كانت خدمتهم ناجحة. ولأنهم عاشوا للمسيح فقد ماتوا عن العالم (غل ٢:٢٠، ١٤:١٤) وعندما يختفي شخص قد صلب الذات وراء رسالة المصلوب، فإنه يكون دائماً شهادة حية للرب المصلوب، والمقام والممجد.

كان اختبارهم هو اختبار الصلاة

إن سفر أعمال الرسل هو كتاب رائع عن دراسة الصلاة! فقد ولدت الكنيسة في اجتماع صلاة، وعاشت في نفس الجو. وعندما مارس التلاميذ اختبار الصلاة لأجل الآخرين، حدثت أشياء رائعة. اجمع الشواهد الدالة على الصلاة، ولاحظ الإعلانات الإلهية استجابةً لها. وسوف تكتشف كيف عاشت الكنيسة راكعة على ركبتيها وأصبحت مرهبة كجيش بألوية (١:١٤، ٦:٤).

هل تزعزع المكان الذي نجتمع فيه للصلاة ذات مرة، وكان حضور الروح ملموساً لدى الجميع (أع ٤:٣١)؟ إن زنزانات السجون لا يمكن أن تحتفظ بأولئك الذين يواظبون على الصلاة لأجل الآخرين (١٢:٥). والكنيسة غير المصلية أو المسيحي غير المصلي لا يمكن أن يتوقع حدوث أشياء عظيمة ولا يمكنه القيام بها. يمكن أن يتحقق النجاح الرائع من خلال الأداء البشري فقط عندما يصلي القديسون بلا انقطاع. قيل عن الملكة ماري - ماري الدموية كما كانوا يطلقون عليها - إنها كانت تخشى صلوات جون نوكس، المصلح الاسكتلندي، بأكثر من جيش جرار. هل تثير صلواتنا ذعراً في قوافل الجحيم؟ إن قناعتنا بترديد الصلوات، قد أنستنا كيفية الصلاة بالروح القدس. إن عالمنا الملوث بالخطية لا يمكن أن يختبر نهضة مجيدة سوى عندما يختبر قديسو الله آلام جثسيماني، فذلك يحدث فقط عندما تتمخض صهيون حتى تلد أطفالاً. لدينا العديد من المبشرين، ولكننا بحاجة ماسة إلى المزيد من المصلين الذين يمارسون خدمة الصلاة لأجل الآخرين كما فعل إبراهيم لأجل سدوم (تك ١٨:٢٣-٣٣).

كان اختبارهم هو اختبار التطهير

كان هؤلاء الرجال الجليليون حاضرين في ذلك اليوم في العلية عندما وعد يسوع بأنه سوف يأتي ثانية، وبعد صعوده سمعوا الرجلين من السماء يؤكدان وعد المعلم بمجيئه ثانية (يو ١٤:١-٣، أع ١:١٠،١١). ومنذ يوم الخمسين فصاعداً تمسكوا بهذا الإعلان المتكرر بمجيئه، وكرزوا به، وعملوا في ضوء هذا الحدث المبارك (أع ٣:٢٠،٢١). وبمقارنة الرسائل المليئة بحقيقة الرجاء المبارك، بسفر أعمال الرسل، نعرف أن رسلاً مثل بطرس وبولس ويعقوب ويوحنا ويهوذا قد أعلنوا ظهور المسيح المجيد في تعليمهم للمتجددين حديثاً (١تس ١:٩،١٠).

والرسـائل المكتوبة إلى الكنائس التي أسسوها مليئة «بالكلمة النبوية وهي أثبت».

وإذ كان الرسل يحبون فكرة مجيء المسيح ثانية، فقد عملوا بلا انقطاع لرجوع الضالين، لم يكن المجيء الثاني بالنسبة لهم مجرد تعليم بل قوة خلاقة، تجبرهم على أن يعيشوا حياة مقدسة، ولينقذوا أيضاً الهالكين من حولهم، ولما كانت فكرة مجيء معلمهم ماثلة أمام أعينهم، فقد كانوا يشهدون له متحلين بالشجاعة بالرغم من إحساسهم بالعزلة. ولكن بغض النظر عن كل دموعهم وتجاربهم كان هناك الرجاء الأكيد والمعزي الخاص بنزول المسيح ومجيئه على السحاب لاختطافهم.

لهم الوجود الدائم

بعض الناس يتم نسيانهم سريعاً. فهم يختفون في بحر النسيان. إنهم مثل رقائق الثلج التي يصفها روبرت برتر «بيضاء للحظة واحدة، ثم تذوب إلى الأبد»، ولكن بالنسبة للبعض الآخر فإن اسماءهم تبقى، وتأثيرهم الدائم يكون مصدر إلهام ينطبق عليهم القول «وإن مات يتكلم بعد»! وبالرغم من أنهم أشخاص عاديون جداً، إلا أنهم سمعوا معلمهم يقول «إني أنا حي فأنتم ستحيون» (يو ١٤:١٩)، وهم باقون مثله بشهادتهم وتعليمهم. وهكذا كان حماسهم المنقطع النظير حتى أنه قبل تدمير أورشليم في ٧٠م، وبعد موت ربهم بثلاثين سنة، كان الرسل قد بشروا بالإنجيل في مقدونيا وسوريا، وأنشئت كنائس عديدة في الكثير من الأقاليم تقريباً في نفس الوقت.

نبتت بذرة الملكوت بسرعة وبدت كما لو كانت قد ملأت الأرض (مر ١٦:١٥-٢٠). عندما نبدأ في التأمل في شخصيات الرسل، على انفراد، سوف نشير إلى سجلات أنشطتهم الواسعة الانتشار، كما ذكرها التقليد والقصص المتوارثة.

لاشك أنهم مارسوا تأثيراً هائلاً رفيع المستوى في حياتهم، ولكن ذلك التأثير لم ينته بموتهم، ومازال تأثيرهم قوياً على حياة الملايين. كلمتهم لم تكن في الماضي فقط، ولكنها مازلت ناموساً، ومثلهم مازال يعتبر ملزماً على مر العصور.

ومن بشائرهم ورسائلهم والتفاسير الملهمة للأقوال الثمينة لمعلمهم، استمدت الكنيسة نظام التعليم الذي أدمجته في عقيدتها. وكما عبر عن ذلك أ.ب بروس حين قال: «لقد أصبح صيادو الجليل صيادين للناس على أوسع نطاق، وبمعونة الله، ضموا إلى الكنيسة النفوس الكثيرة التي خلصت، ويمكن القول إنهم مازالوا يلقون بشباكهم في بحر العالم، وبشهادتهم ليسوع في الإنجيل والرسائل، يأتون بجماهير غفيرة ليصبحوا تلاميذ ذاك الذي كان لهم الشرف أن يكونوا ضمن تلاميذه».

كانوا أشخاصاً مغمورين وعاديين حتى دعاهم يسوع وأرسلهم، فهو الذي نفخ في الرسل وجعل العديدين منهم بارزين على مدى العصور.

كما عبر ويتير Whittier عن ذلك بالقول:

لمسوا هدب ثوبه وسرعان

ما حول الكيميائي السماوي ترابهم إلى تبر

وبما أنهم عاشوا حياة مليئة بالنشاط والحيوية، فالأجيال التالية قد أعطت للعديد من الرسل شهرة دائمة. فقد سميت الكليات والمدن بأسمائهم وملاجيء الأيتام والأطفال بأسمائهم. تأمل كيف مازلنا نستخدم أسماءهم في حياتنا العائلية! في سنة ١٩٥٠ كتب إلسون س سميث كتاباً رائعاً يحمل هذا العنوان «قصة أسمائنا» يدرج فيه قوائم مختارة بعناية لأشهر الأسماء من ذكور وإناث في

أمريكا وحدها. ومن بين أولئك المسيحيين الأوائل الذين مازالوا يعيشون تحت مسمى الناس الذين يحملون أسماءهم، لدينا ما يأتي:

الاسم	تقدير لأعداد من يحملون الأسم
يوحنا (چون)	٥٨٣٧,٠٠٠
يعقوب (چيمس)	٢٩٩٨,٠٠٠
توما (توماس)	١٩١٠,٠٠٠
بولس (بول)	٣٦١,٠٠٠
أندراوس (أندرو)	٣٤٢,٠٠٠
بطرس (بيتر)	٣٣٤,٠٠٠
فيلبس (فليب)	٢٩٨,٠٠٠
استفانوس (ستيڤن)	٢٧٣,٠٠٠
نثنائيل (نثنايل)	١٨٠,٠٠٠
متى (ماثيو)	١٠٥,٠٠٠
تيموثاوس (تيموثي)	٨٣٠,٠٠٠

اضرب هذه الأسماء الرسولية التي يحملها أمريكيون في عقد واحد في كل العقود، وليس فقط في الولايات المتحدة، بل في العالم كله، سوف تجد لديك دليلاً دامغاً على التأثير الدائم لهؤلاء التلاميذ الذين حملوا وشرفوا هذه الأسماء في القرن الأول للميلاد. إن بعض أعظم التحف المعمارية مثل كاتدرائية القديس بولس بلندن، قد خصصت لإحياء ذكراهم، وبعض أعظم التحف الفنية مثل لوحة «العشاء الأخير» ليوناردو دافنشي، قد خلدت ذكرى وجوههم. وملايين البشر في الكنيسة الرومانية الكاثوليكية يرفعون صلواتهم للرسل الذين تبوأوا مركزهم كقديسين قانونياً، أما عن الكتب المكتوبة عنهم وعن أعمالهم سواء كانت من وحي الخيال أو خلاف ذلك، فالرقم مهول، ويحضرني في هذا المقام الرواية التي تشد الانتباه عن بطرس، بقلم للويدس دوجلاس «صياد السمك الكبير».

لاشك أن أكاليل الخلود تنتمي بحق لأولئك المرسلين الأوائل الذين أرسلهم المسيح إلى العالم أجمع.